الأئمة الاثنا عشر

في كتاب منهاج الكرامة للعلامة الحلي ونقد كلام ابن تيمية حولهم

تأليف

آية الله السيد علي الحسيني الميلاني

٢

اعرف الحق تعرف أهله

(٢)

الأئمة الاثنا عشر

في كتاب منهاج الكرامة للعلامة الحلي ونقد كلام ابن تيمية حولهم

تأليف

آية الله السيد علي الحسيني الميلاني

مركز الحقائق الإسلامية

هذا الموضوع مستلٌ من كتاب شرح منهاج الكرامة

❁ الكتاب: الأئمة الاثنا عشر
❁ المؤلف: السيد علي الحسيني الميلاني
❁ نشر: الحقائق
❁ المطبعة: شريعت
❁ الطبعة: الأُولى ١٤٢٧، ١٣٨٥
❁ العدد: ٣٠٠٠ نسخة
❁ السعر: ١٤٠٠ تومان
❁ ردمك: ٩٦٤-٢٥٠١-٣١-٧ 964-2501-31-7

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

نظراً للحاجة الماسّة والضرورة الملحّة لنشر العقائد الحقّة والتعريف بالفكر الشيعي، بالبراهين العقليّة المتقنة والأدلّة النقلية من الكتاب والسنّة، من أجل ترسيخها في أذهان المؤمنين، ودفع الشبهات المثارة حولها من قبل المخالفين، فقد بادر (مركز الحقائق الاسلامية) بإخراج سلسلة علمية ـ عقائدية، متنوّعة، تميّزت بجامعيتها بين العمق في النظر والقوّة في الاستدلال والوضوح في البيان، تحت عنوان (إعرف الحق تعرفه أهله)، وهي من بحوث سماحة الفقيه المحقق آية اللّه الحاج السيد علي الحسيني الميلاني (دام ظلّه)، آملين أن نكون قد قمنا ببعض الواجب الملقى على عواتقنا في هذه الأيام التي كثرت فيها الشبهات وازدادت الانحرافات، سائلين اللّه ﷻ أن يسدّد خطانا على نهج الكتاب والعترة الطاهرة كما أوصى الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، والحمد للّه رب العالمين.

مركز الحقائق الاسلامية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

الحمد للّٰه رب العالمين، والصّلاة والسلام على خير خلقه وأشرف بريّته محمّد وآله الطاهرين ولعنة اللّٰه على أعدائهم أجمعين، من الأوّلين والآخرين.

وبعد

فإني لمّا كتبت شرح (منهاج الكرامة) للعلّامة الحلّي رحمه اللّٰه، مع الردّ على كلام ابن تيميّة في (منهاجه) رأيت من المناسب إفراد القسم المتعلّق بتراجم الأئمة الاثني عشر في كرّاس مستقلّ، لتعمّ به الفائدة واللّٰه الموفّق وهو المسئول لذلك بفضله وكرمه.

علي الحسيني الميلاني

الأئمة الاثنا عشر
في كتاب منهاج الكرامة في معرفة الامامة

قال العلّامة الحلي رحمه الله:

إنّ الإماميّة أخذوا مذهبهم عن الأئمّة المعصومين المشهورين بالفضل والعلم والزهد والورع والاشتغال في كلّ وقت بالعبادة والدعاء وتلاوة القرآن والمداومة على ذلك من زمن الطفوليّة إلى آخر العمر، ومنهم تعلّم الناس العلوم؛ ونزل في حقّهم ﴿هل أتى﴾، وآية الطهارة، وإيجاب المودّة لهم، وآية الابتهال وغير ذلك. وكان عليّ عليه السلام يصلّي في كلّ يوم وليلة ألف ركعة، ويتلو القرآن مع شدّة ابتلائه بالحروب والجهاد.

فأوّلهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وجعله الله تعالى نفس رسول الله؛ حيث قال: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾، وآخاه الرسول صلى الله عليه وآله وزوّجه ابنته، وفضلُهُ لا يُحصى، وظهرت عنه معجزات كثيرة حتّى ادّعى قوم فيه الربوبيّة، وقتلهم، وصار إلى مقالتهم آخرون إلى هذه الغاية، كالنصيريّة والغُلاة.

وكان ولداه سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله سيّدا شباب أهل الجنّة إمامَين

بنصّ النبيّ ﷺ، وكانا أزهد الناس وأعلمهم في زمانهم، وجاهدا في الله حقّ جهاده حتّى قُتلا، ولبس الحسن الصوف تحت ثيابه الفاخرة من غير أن يُشعِر أحداً بذلك. وأخذ النبيّ ﷺ يوماً الحسين على فخذه الأيمن، وولده إبراهيم على فخذه الأيسر، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام وقال: إنّ الله لم يكن ليجمع لك بينهما، فاخترْ مَن شئتَ منهما، فقال ﷺ: إذا مات الحسين بكيتُ عليه أنا وعليّ وفاطمة، وإذا مات إبراهيم بكيتُ أنا عليه؛ فاختار موت إبراهيم، فمات بعد ثلاثة أيّام، فكان إذا جاء الحسين بعد ذلك يقبّله ويقول: أهلاً ومرحباً بِمَنْ فديتُه بابني إبراهيم.

وكان عليّ بن الحسين زَين العابدين يصوم نهاره ويقوم ليله، ويتلو الكتاب العزيز، ويصلّي كلّ يوم وليلة ألف ركعة، ويدعو بعد كلّ ركعتَيْن بالأدعية المنقولة عنه وعن آبائه عليهم السلام، ثم يرمي الصحيفة كالمتضجّر ويقول: أنّى لي بعبادة عليّ! وكان يبكي كثيراً حتّى أخذت الدموع من لحم خدّيه، وسجد حتّى سُمّي ذا الثفنات، وسمّاه رسول الله ﷺ سيّد العابدين.

وكان قد حجّ هشام بن عبد الملك فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه من الزحام، فجاء زين العابدين عليه السلام فوقف الناس له وتنحّوا عن الحجر حتّى استلمه، ولم يبقَ عند الحجر سواه، فقال هشام: مَن هذا؟ فقال الفرزدق الشاعر:

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأته   والبيتُ يعرفه والحِلُّ والحَرَمُ
هذا ابن خير عباد اللّه كلّهمُ   هذا التقيُّ النّقيُّ الطاهرُ العَلَمُ
يكادُ يُمسِكُهُ عِرفانَ راحتِه   رُكنُ الحطيمِ إذا ما جاء يَستلمُ
إذا رَأتْهُ قريشٌ قال قائلُها   إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ
إن عُدّ أهلُ التُّقى كانوا أئمّتَهم   أو قِيلَ مَن خير خلق اللّه قيل هُمُ
هذا ابن فاطمة إنْ كنتَ جاهله   بجَدِّه أنبياءُ اللّهِ قد خُتموا
يُغضي حَياءً ويُغضىٰ من مَهابته   فما يُكلَّمُ إلّا حينَ يبتسمُ
ينشقُّ نورُ الهُدى عن صُبح غُرَّتِهِ   كالشمس تَنجابُ عن إشراقها الظُّلَمُ
مشتقّةٌ من رسول اللّه نَبعَتُهُ   طابَتْ عَناصِرُهُ والخِيمُ والشِّيَمُ
اللّهُ شرّفه قِدْماً وفضّله   جرى بذاكَ له في لَوحةِ القلمُ
مِنْ مَعشَرٍ حُبّهم دِينٌ وبُغضُهُم   كُفرٌ وقُربُهُم مَلْجاً ومُعتَصَمُ
لا يَستطيعُ جَوادٌ بُعْدَ غايتهم   ولا يُدانيهِمُ قومٌ وإن كَرُموا
هُمُ الغيوثُ إذا ما أزمةٌ أزِمَتْ   والأُسْدُ أُسْدُ الشّرى والرأيُ مُحْتَدِمُ
لا ينقصُ العُسرُ من أكفِّهِمُ   سيّانَ ذلك إن أثْرَوا وإن عَدِموا
ما قال لا قطُّ إلّا في تشهّده   لو لا التشهّدُ كانت لاؤهُ نَعمُ
يُستَدْفَعُ السوءُ والبلوى بحبّهمُ   ويُستَرَقُّ به الإحسانُ والنِّعَمُ

مقدّمٌ بعد ذِكر الله ذِكرُهُمُ في كلِّ برٍّ، ومختومٌ به الكلمُ
مَن يعرف الله يعرف أولويّة ذا الدينُ مِنْ بيتِ هذا نالَهُ الأُمم
وليس قولُكَ مَنْ هذا بضائرِهِ العُرْبُ تعرفُ مَن أنكَرْتَ والعَجَمُ

فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بين مكّة والمدينة، فبعث إليه الإمام زينُ العابدين ﷺ بألف دينار، فردّها وقال: إنّما قُلت هذا غضباً لله ولرسوله، فما آخذ عليه أجراً. فقال عليّ بن الحسين ﷺ : نحن أهلُ بيتٍ لا يعود إلينا ما خرج منّا؛ فقبلها الفرزدق.

وكان بالمدينة قومٌ يأتيهم رزقهم ليلاً ولا يعرفون ممّن هو، فلمّا مات مولانا الإمام زين العابدين ﷺ انقطع ذلك عنهم، وعرفوا به أنّه كانَ منه ﷺ.

وكان ابنه محمّد الباقر ﷺ أعظم الناس زُهداً وعبادة، بَقر السجودُ جبهَتَه، وكان أعلم أهل وقته، سمّاه رسول الله ﷺ الباقر.

وجاء جابر بن عبد الله الأنصاريّ إليه وهو صغير في الكتّاب، فقال له: جدّك رسول الله ﷺ يسلّم عليك، فقال: وعلى جدّي السلام، فقيل لجابر: كيف هذا؟ قال: كنتُ جالساً عند رسول الله ﷺ ، والحسين في حِجره وهو يلاعبه، فقال: يا جابر! يولد له مولود اسمه عليّ، إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ليقم سيّد العابدين! فيقوم ولده، ثمّ

يولد له مولود اسمه محمّد الباقر، إنّه يبقر العلم بقراً، فإذا أدركته فأقرئهُ مِنّي السلامَ.

روى عنه أبو حنيفة وغيره.

وكان ابنه الصادق ﷺ أفضل أهل زمانه وأعبدهم. قال علماء السيرة: إنّه انشغل بالعبادة عن طلب الرئاسة. قال عمرو بن أبي المقدام: كنتُ إذا نظرتُ إلى جعفر بن محمّد علمتُ أنّه من سلالة النبيّين.

وهو الذي نُشِرَ منه فقه الإماميّة والمعارف الحقيقيّة والعقائد اليقينيّة، وكان لا يُخبر بأمرٍ إلّا وقع، وبه سمّوه الصادق الأمين.

وكان عبد الله بن الحسن جمعَ أكابرَ العلويّين للبيعة لولده، فقال له الصادق ﷺ : إنّ هذا الأمر لا يتمّ؛ فاغتاظ من ذلك، فقال: إنّه لصاحب القباء الأصفر؛ وأشار بذلك إلى المنصور، فلمّا سمع المنصور بذلك فرح لعلمه بوقوع ما يُخبِرُ به، وعلم أنّ الأمر يصل إليه؛ ولمّا هرب كان يقول: أين قول صادقهم؟! وبعد ذلك انتهى الأمر إليه.

وكان ابنُه موسى الكاظم ﷺ يُدعى بالعبد الصالح، كان أعبد أهل وقته، يقوم الليل ويصوم النهار، سُمّي الكاظم لأنّه كان إذا بلغه عن أحد شيء بعث إليه بمالٍ، ونقل فضلَه المخالفُ والمؤالفُ.

قال ابن الجوزيّ من الحنابلة عن شقيق البلخيّ، قال: خرجتُ

حاجّاً في سنة تسع وأربعين ومائة، فنزلت «القادسيّة» فإذا شابٌ حسن الوجه، شديد السمرة، عليه ثوب صوف، مشتمل بشملة، في رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً عن الناس، فقلتُ في نفسي: هذا الفتى من الصوفيّة يريد أن يكون كَلّاً على الناس، والله لأمضينّ إليه وأُوبّخه، فدنوتُ منه، فلمّا رآني مقبلاً، قال: يا شقيق! ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾! فقلتُ في نفسي: هذا عبدٌ صالح قد نطق على ما في خاطري، لألحقنّه ولأسألنّه أن يحلّلني، فغاب عن عيني. فلمّا نزلنا «واقصة»، (إذا به يصلّي) وأعضاؤه تضطرب، ودموعه تتحادر، فقلت: أمضي إليه وأعتذر؛ فأوجز في صلاته، ثمّ قال: يا شقيق، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ فقلت: هذا من الأبدال قد تكلّم على سرّي مرّتين.

فلمّا نزلنا «زبالة» إذا به قائم على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقي ماءً، فسقطت الركوة في البئر، فرفع طرفه إلى السماء، وقال: أنتَ ربّي إذا ظمئتُ إلى الماء، وقوتي إذا أردتُ الطعام، يا سيّدي ما لي سواها! قال شقيق: فو الله لقد رأيتُ البئر قد ارتفع ماؤها، فأخذ الركوة وملأها وتوضّأ وصلّى أربع ركعات، ثمّ مال إلى كثيب رمل هناك، فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويشرب، فقلتُ: أطعمني من فضل ما رزقك الله وأنعم الله عليك! فقال: يا شقيق، لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة،

فأحسِنْ ظنّك بربّك؛ ثمّ ناولني الركوة، فشربتُ منها فإذا سويق وسكّر ما شربتُ ـ والله ـ ألذّ منه وأطيب ريحاً، فشبعت ورويت وأقمت أيّاماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً.

ثمّ لم أره حتّى دخل مكّة، فرأيتُه ليلةً إلى جانب قبّة السراب نصف الليل يصلّي بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتّى ذهب الليل، فلمّا طلع الفجر جلس في مصلّاه يسبّح، ثمّ قام إلى صلاة الفجر، وطاف بالبيت أُسبوعاً، وخرج فتبعته فإذا له حاشية وأموال وغلمان، وهو على خلاف ما رأيتُه في الطريق، ودارَ به الناس يُسلّمون عليه ويتبرّكون به، فقلتُ لبعضهم: مَن هذا؟ فقال: موسى بن جعفر عليه السلام، فقلتُ: قد عجبتُ أن تكون هذه العجائب إلّا لمثل هذا السيّد. رواه الحنبلي.

وعلى يده عليه السلام تاب بشر الحافيّ؛ لأنّه عليه السلام اجتاز على داره ببغداد، فسمع الملاهي وأصوات الغناء والقَصَب تخرج من تلك الدار، فخرجت جارية وبيدها قمامة البقل فرمت بها في الدرب؛ فقال لها: يا جارية! صاحب هذه الدار حرٌّ أم عبد؟ فقالت: بل حرّ؛ فقال: صدقتِ، لو كان عبداً خافَ من مولاه! فلمّا دخلت قال مولاها وهو على مائدة السُّكر: ما أبطأك علينا؟ فقالت: حدّثني رجلٌ بكذا وكذا. فخرج حافياً حتّى لقي مولانا الكاظم عليه السلام فتاب على يده.

وكان ولده عليّ الرضا عليه السلام أزهد أهل زمانه وأعلمهم؛ وأخذ عنه

فقهاء الجمهور كثيراً، وولّاه[1] المأمون لعلمه بما هو عليه من الكمال والفضل.

ووعظ يوماً أخاه زيداً فقال له: يا زيد، ما أنت قائلٌ لرسول الله ﷺ إذا سفكتَ الدماء وأخفتَ السبيل وأخذتَ المال من غير حِلّه؟! غرّك حُمقاءُ أهل الكوفة، وقد قال رسول الله ﷺ: «إنّ فاطمة أحصنت فَرجها فحرّم الله ذرّيّتها على النار»، والله ما نالوا ذلك إلّا بطاعة الله؛ فإن أردتَ أن تنال بمعصية الله ما نالوه بطاعته، إنّك إذاً لأكرم على الله منهم.

وضرب المأمون اسمه على الدراهم والدنانير، وكتب إلى الآفاق ببيعته، وطرح السواد ولبس الخُضرة.

وقيل لأبي نؤاس: لِمَ لا تمدح الرضا ﷺ؟ فقال:

قيل لي أنتَ أفضلُ النّاس طُرّاً ... في المعاني وفي الكلام البديهِ
لك من جوهرِ الكلام بديع ... يُثمر الدرّ في يدَيْ مُجتنيه
فلماذا تركتَ مدحَ ابنِ موسى ... والخصالَ الّتي تجمّعن فيه
قلت: لا أستطيع مدحَ إمامٍ ... كان جبريلُ خادماً لأبيه

وكان ولده محمّد الجواد ﷺ على منهاج أبيه في العِلم والتقوى

(١) أي: جعله وليّاً للعهد.

والجود، ولمّا مات أبوه الرضا عليه السلام شغف به المأمون لكثرة علمه ودينه ووفور عقله مع صغر سنّه، فأراد أن يزوّجه ابنته أُمّ الفضل، وكان قد زوّج أباه الرضا عليه السلام بابنته أُم حبيب، فغلظ ذلك على العبّاسيين واستكبروه، وخافوا أن يخرج الأمر منهم، وأن يُتابعه كما تابع أباه، فاجتمع الأدنون منه وسألوه تَرْكَ ذلك، وقالوا: إنّه صغير لا علم عنده. فقال: أنا أعرف به، فإن شئتم فامتحنوه؛ فرضوا بذلك، وجعلوا ليحيى بن أكثم مالاً كثيراً على امتحانه في مسألة يُعجزه فيها، فتواعدوا إلى يوم، فأحضَرَهُ المأمون، وحضر القاضي وجماعة العبّاسيين، فقال القاضي أسألك عن شيء؟ فقال لَهُ عليه السلام : سل.

فقال: ما تقول في مُحرمٍ قَتَل صيداً؟

فقال له الإمام عليه السلام : أقَتَله في حِلٍّ أم حَرَم؟ عالِماً كان أو جاهلاً؟ مُبتَدِئاً بقتله أو عائداً؟ مِن صغار الصيد كان أو من كبارها؟ عبداً كان المُحرِم أو حُرّاً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ مِن ذوات الطير كان الصيد أو من غيرها؟

فتحيّر يحيى بن أكثم وبان العجزُ في وجهه، حتّى عرف جماعة أهل المجلس أمره، فقال المأمون لأهل بيته: عرفتم الآن ما كنتم تُنكرونه؟! ثمّ أقبل على الإمام، فقال: أتخطب؟ فقال: نعم. فقال: إخطِب لنفسك خطبة النكاح! فخطب وعقد على خمسمائة درهم جياداً مهر

جدّته فاطمة عليها السلام ، ثمّ تزوّج بها.

وكان ولده عليّ الهادي عليه السلام ، ويُقال له: العسكريّ، لأنّ المتوكّل أشخصه من المدينة إلى بغداد، ثمّ منها إلى «سرّ مَن رأى»، فأقام بموضع عندها يُقال له «العسكر»، ثمّ انتقل إلى «سرّ من أرى» فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر، وإنّما أشخصه المتوكّل لأنّه كان يُبغض عليّا عليه السلام ، فبلغه مقام عليّ بالمدينة ومَيل الناس إليه، فخاف منه، فدعا يحيى بن هرثمة فأمره بإشخاصه، فضجّ أهل المدينة لذلك خوفاً عليه، لأنّه كان مُحسناً إليهم، مُلازماً للعبادة في المسجد، فحلف لهم يحيى أنّه لا مكروه عليه، ثمّ فتّش منزله فلم يجد فيه سوى مصاحف وأدعية وكتب العلم. (فعظم في عينه) وتولّى خدمته بنفسه، فلمّا قدم بغداد بدأ بإسحاق بن إبراهيم الطاهريّ والي بغداد، فقال له: يا يحيى، هذا الرجل قد ولده رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، والمتوكّل مَنْ تعلم، فإنْ حرّضتَه عليه قتَله وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم خصمك. فقال له يحيى: واللهِ ما وقعتُ منه إلّا على خير.

قال: فلمّا دخلتُ على المتوكّل أخبرتُه بحسن سيرته وزُهده وورعه، فأكرمه المتوكّل.

ثمّ مرض المتوكّل فنذر إن عُوفي تصدّق بدراهم كثيرة، فسأل الفقهاء عن ذلك، فلم يجد عندهم جواباً، فبعث إلى عليّ الهادي يسأله، فقال: تصدّق بثلاثة وثمانين درهماً، فسأله المتوكّل عن السبب، فقال:

لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾؛ وكانت المواطن هذه الجملة، فإنّ النبيّ ﷺ غزا سبعاً وعشرين غزاة، وبعث ستّاً وخمسين سريّة.

قال المسعوديّ: نُمي إلى المتوكّل بعليّ بن محمّد أنّ في منزله سلاحاً من شيعته من أهل قم، وأنّه عازم على المُلك؛ فبعث إليه جماعة من الأتراك، فهجموا على داره ليلاً فلم يجدوا شيئاً، ووجدوه في بيت مغلق عليه، وهو يقرأ (القرآن) وعليه مدرعة من صوف، وهو جالس على الرمل والحصباء، متوجّه إلى الله تعالى يتلو القرآن، فَحُمل على حالته تلك إلى المتوكّل، فأُدخل عليه وهو في مجلس الشراب، والكأس في يد المتوكّل، فأعظمه وأجلسه إلى جانبه وناوله الكأس، فقال: واللهِ ما خامر لحمي ودمي قطّ (فأعفني!) فأعفاه وقال له: أسْمِعني صوتاً، فقال عليه السلام: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ... الآيات؛ فقال: أنشدني شعراً! فقال: إنّي قليل الرواية للشعر، فقال: لا بدّ من ذلك، فأنشده.

باتُوا على قُلَلِ الأجبال تحرُسُهُمْ غُلْبُ الرِّجالِ فما أغْنَتْهُمُ القُلَلُ
واستُنزِلُوا بعدَ عزٍّ من مَعاقِلِهِمْ وأُسْكِنُوا حُفَراً يا بِئسَ ما نَزَلُوا
ناداهُمُ صارخٌ من بعدِ دَفْنِهِمُ أينَ الأساورُ والتّيجانُ والحُلَلُ
أينَ الوجوهُ الّتي كانَتْ مُنعَّمَةً مِن دُونِها تُضْرَبُ الأستارُ والكُلَلُ

فأفْصَحَ القَبْرُ عنهُم حينَ سائلَهُ تلكَ الوجوهُ عليها الدُّودُ يَقتتِلُ
قد طالما أكَلُوا دهراً وقَد شَرِبُوا فأصْبَحُوا بعدَ طُولِ الأكلِ قد أُكِلُوا

فبكى المتوكّل حتّى بلّت دموعه لحيته.

وكان ولده الحسن العسكري عليه السلام عالماً فاضلاً زاهداً، أفضل أهل زمانه، روت عنه العامّة كثيراً.

وولَدُهُ مولانا الإمام المهديّ محمّد عليه السلام: روى ابن الجوزيّ بإسناده إلى ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمُه كاسمي وكُنيته كُنيتي، يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً، فذلك هو المهديّ.

(١)

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

﴿كان أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ﴾

كونه أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ ثابت بالكتاب والسنّة والعقل والتاريخ، فالآيات الكريمة الواردة في حقّه كثيرة، والأحاديث عن النبي ﷺ في فضله في كتب الفريقين لا تحصى، وقد وقع في بعضها التصريح بالأفضليّة، كما أنّ قراءة سيرته وقياسها بسير الآخرين طريق آخر لمعرفة ذلك، إذ الصفات التي كانت متوفّرةً فيه لا نجدها عند غيره أو هي موزّعة فيهم.

ومن هنا ذهب جماعة كبيرة من أعلام الصحابة ومشاهير التابعين وعلماء الإسلام في مختلف القرون إلى أفضليته بعد رسول الله ﷺ، وقد ذكر الحافظان ابن عبد البر وابن حزم أسماء بعضهم(١).

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣ / ١٠٩٠، الفصل في الملل والنحل ٤ / ١٨١.

﴿وجعله الله نفس رسول الله ﷺ حيث قال: ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ ﴾

وهذه الآية المباركة من جملة أدلّة أفضليته من الكتاب الكريم، وهي آية المباهلة، حيث أمر الله فيها النبي بمباهلة النصارى في أمر عيسى عليه السلام، فخرج رسول الله، لذلك بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقط، فكان المراد من ﴿أنفسنا﴾ هو أمير المؤمنين عليه السلام.

والأخبار في كتب الفريقين في هذه الحادثة العظيمة متواترة، وهذه جملة من مصادرها من كتب أهل السنة:

صحيح مسلم ٧ / ١٢٠

مسند أحمد ١ / ١٨٥

صحيح الترمذي ٥ / ٥٩٦

المستدرك ٣ / ١٥٠

فتح الباري ٧ / ٦٠

الكشاف ١ / ٤٣٤

تفسير البغوي ١ / ٤٨١

تفسير الطبري ٣ / ٢١٢

تفسير ابن كثير / ٣٧٩

الدر المنثور ٢ / ٢٣١ ـ ٢٣٣

أحكام القرآن ٢ / ١٤

الكامل في التاريخ ٢ / ٢٩٣

اسد الغابة ٤ / ٢٦

ولنا رسالة مستقلة بحثنا فيها الموضوع من جميع جوانبه، وهي إحدى حلقات سلسلتنا (إعرف الحق تعرف أهله).

﴿وآخاه رسول اللّه ﷺ﴾

والمؤاخاة بينهما من القضايا الثابتة كذلك.

فلقد آخى النبي ﷺ بين أصحابه، وكان من ذلك أنْ آخىٰ بين أبي بكر وعمر... فقال علي عليه السلام له: آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد؟ فقال رسول اللّه ﷺ : **«أنت أخي في الدنيا والآخرة»**.

راجع: الترمذي ٥ / ٥٩٥، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٢ / ٦٠، المستدرك على الصحيحين ٣ /١٦، مصابيح السنّة ٤ / ١٧٣، الإستيعاب ٣ / ١٠٨٩، البداية والنهاية ٧ / ٣٧١، الرياض النضرة ٣ / ١١١، مشكاة المصابيح ٣ / ٣٥٦، الصواعق المحرقة: ١٢٢، تاريخ الخلفاء: ١٥٩، وغيرها... وهذه الروايات هي عن جمّ غفيرٍ من الأصحاب، وعلى رأسهم: أمير المؤمنين عليه السلام ، ومنهم: عبد اللّه بن عباس، وأبو ذر الغفاري، وجابر بن عبد اللّه الأنصاري، وعمر بن

الخطاب، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وزيد بن أرقم...

وفي بعض الروايات أجاب علياً بقوله: **«والذي بعثني بالحق ما أخّرتك إلّا لنفسي، وأنت منّي بمنزلة هارون بن موسىٰ غير أنّه لا نبيّ بعدي، وأنت أخي ووارثي»**.

ومن رواته: أحمد بن حنبل في المناقب، الحديث: ١٤١، وابن عساكر بترجمة علي عليه السلام برقم ١٤٨، والمتّقي في كنز العمال ١٣ / ١٠٦ عن أحمد في المناقب.

وتجد خبر المؤاخاة، وأنّه آخىٰ بينه وبين علي عليه السلام في سائر كتب السير والتواريخ، فراجع: سيرة ابن هشام ٢ / ١٠٩، السيرة النبوية لابن حبان: ١٤٩، عيون الأثر لابن سيد الناس: ١ / ٢٦٤، السيرة الحلبية ٢ / ٢٣، وفي هامشها سيرة زيني دحلان ١ / ٣٢٥.

ومع هذا كلّه، فقد تعصّب ابن تيمية فكذّب خبر المؤاخاة بلا أيّ دليلٍ[١]، فردّ عليه كلامه غير واحدٍ من حفّاظ أهل السنة المشاهير، كابن حجر العسقلاني، إذ قال في شرح البخاري ما نصّه ـ بعد أن ذكر من أخبار المؤاخاة عن الواقدي وابن سعد وابن اسحاق وابن عبد البر والسهيلي وابن كثير ـ **«وأنكر ابن تيميّة في كتاب الردّ على ابن المطهر**

(١) منهاج السنّة ٧ / ٢٧٩، ٣٦١.

الرافضي المؤاخاة بين المهاجرين وخصوصاً مؤاخاة النبي صلّى اللّه عليه وسلّم لعلي، قال: لأنّ المؤاخاة شرّعت لإرفاق بعضهم بعضاً، ولتأليف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبي لأحدٍ منهم، ولا لمؤاخاة مهاجري لمهاجري.

وهذا ردّ للنص بالقياس، وإغفال عن حكمة المؤاخاة، لأن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوى، فآخىٰ بين الأعلىٰ والأدنىٰ...

قلت: وأخرجه الضياء في المختارة من المعجم الكبير للطبراني. وابن تيمية يصرّح بأنّ أحاديث المختارة أصحّ وأقوىٰ من أحاديث المستدرك...»[1].

وقال الزرقاني المالكي تحت عنوان «ذكر المؤاخاة بين الصّحابة رضوان اللّه عليهم أجمعين»: «وكانت ـ كما قال ابن عبد البر وغيره ـ مرّتين، الأولىٰ بمكّة قبل الهجرة، بين المهاجرين بعضهم بعضاً على الحق والمواساة، فآخىٰ بين أبي بكر وعمر، و... وهكذا بين كلّ اثنين منهم إلىٰ أن بقي علي فقال: آخيت بين أصحابك فمن أخي؟ قال: أنا أخوك.

(١) فتح الباري في شرح البخاري: ٧ / ٢١٧.

وجاءت أحاديث كثيرة في مواخاة النبي صلّى الله عليه وسلّم لعلي، وقد روى الترمذي وحسّنه والحاكم وصحّحه عن ابن عمر أنّه صلّى الله عليه وسلّم قال لعلي: أمّا ترضىٰ أن أكون أخاك؟ قال: بلىٰ؟ قال: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

وأنكر ابن تيمية هذه المؤاخاة بين المهاجرين، خصوصاً بين المصطفى وعلي، وزعم أنّ ذلك من الأكاذيب، وأنّه لم يؤاخ بين مهاجري ومهاجري، قال: لأنّها شرعت لإرفاق بعضهم بعضاً...

وردّه الحافظ بأنّه ردّ للنص بالقياس...»[1].

وبما ذكرنا كفاية لمن أراد الرشاد والهداية.

﴿وزوّجه ابنته، وفضله لا يخفى﴾

نعم زوّجه ابنته الصدّيقة الطّاهرة فاطمة الزهراء، ولا يخفى فضل هذا التزويج ودلالته على أفضليّته عليه السلام، لوجوه مستندة إلى روايات الفريقين في هذه القضية، ونحن نكتفي بالإشارة إلى بعضها اجمالاً:

فأمّا أولاً: فلأنّ الله تعالى هو الّذي زوّج علياً بفاطمة وأمر بذلك النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث قال له: **«إنّي قد زوّجت فاطمة ابنتك من علي بن أبي طالب في الملأ الأعلى فزوّجها منه في الأرض»**.

(١) شرح المواهب اللدنية ١ / ٢٧٣.

وأمّا ثانياً: فلأنّ أبا بكر وعمر وغيرهما خطبوا فاطمة، فردّهم الرسول ﷺ قائلاً: «لم ينزل القضاء بعد».

وأمّا ثالثاً: فلأنّ فاطمة أفضل من الشيخين، وهذا ممّا اعترف به بعض أكابر الأئمة والحفّاظ من أهل السنة، كمالك بن أنس وأبي القاسم السهيلي، لكونها بضعة من النبي، لكنّ علياً عليه السلام كفوها، فلو لم يخلق ما كان لها كفء، فهو أفضل منهما من هذه النّاحية أيضاً.

راجع للوقوف على الأحاديث المشار إليها في هذه الوجوه إلى: مجمع الزوائد ٩ / ٢٠٤ الرياض النضرة ٢ / ١٨٣، ذخائر العقبى ٢٩ ـ ٣١، كنز العمّال ٦ / ١٥٣، ٧ / ١١٣ فيض القدير ٢ / ٢١٥، ٤ / ٤٢١، كنوز الحقائق ٢٩ / ١٢٤، الصواعق: ٧٤.

فهل يقاس سائر بنات النبي ـ على فرض كونهنّ من صلبه ـ بفاطمة؟ وهل يقاس عثمان على فرض كونه صهراً له على بنتيه بعليّ حتى يعارض تزويج علي بفاطمة بتزويج عثمان؟ هذا، بغض النظر عمّا كان منه في حقّ رقيّة، وأنّه آذى رسول اللّه ﷺ ليلة وفاة أم كلثوم حتّى منعه من النزول في قبرها، وقد روى هذه القضيّة عامّة أرباب الصحاح والسنن، راجع البخاري في كتاب الجنائز، وأحمد في المسند ٣ / ١٢٦، والحاكم في المستدرك ٤ / ٤٧، والبيهقي في سننه ٤ / ٥٣، والإصابة ٤ / ٤٨٩ وعمدة القاري ٤ / ٨٥.

﴿وظهرت عنه معجزات كثيرة، حتّى ادّعى قوم فيه الربوبيّة وقتلهم، وصار إلى مقالتهم آخرون إلى هذه الغاية كالغلاة والنصيرية﴾

فإنّ المعجزات التي صدرت منه تدلُّ دلالةً واضحةً على أفضليّته بإمامة المسلمين وخلافة رسول ربّ العالمين، وقد روى طرفاً منها كبار علماء أهل السنّة في كتبهم، وأورد بعضها العلّامة الحلّي في كتابه (منهاج الكرامة) في الأدلّة على إمامته، المستنبطة من أحواله، مضافاً إلى كونه مستجاب الدّعوة وإخباره عن أمورٍ كائنةٍ قبل أن تكون.

فلمّا رأى بعض الناس منه تلك المعجزات ونحوها، ولم يشاهدوا شيئاً منها من أحدٍ غيره من الأصحاب، ادّعى قومٌ فيه الربوبيّة، فقضى عليهم عن آخرهم، لكنْ صار إلى مقالتهم فيما بعدُ آخرون، وهم موجودون إلى زماننا هذا، كأصحاب محمد بن نصير النميري الذين عرفوا بالنصيريّة، كانوا معاصرين للإمام الهادي علي بن محمّد العسكري، وقد لعنهم الإمام كما لعن غيره من الأئمة سائر الغلاة وكفّروهم.

وهل يجوز ترك الاقتداء بمن كان هذا حاله والمخالفة معه وسلوك غير سبيل المؤمنين؟!

(٢ ـ ٣)

الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام

﴿وكان ولداه سبطا رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم سيدا شباب أهل الجنّة﴾

قال ابن تيمية: «وأمّا قوله: وكان ولداه سبطا رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم سيّدا شباب أهل الجنة إمامين بنصّ النبي صلّى اللّٰه عليه وسلّم فيقال: الذي ثبت بلا شكّ عن النبي صلّى اللّٰه عليه وسلّم في الصحيح أنّه قال عن الحسن: إنّ ابني هذا سيّد وإنّ اللّٰه سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. وثبت عنه صلّى اللّٰه عليه وسلّم أنّه كان يقعده وأسامة بن زيد على فخذه ويقول: اللّهمّ إنّي أحبّهما وأحبّ من يحبّهما. وهذا يدلّ على أنّ ما فعله الحسن من ترك القتال على الإمامة وقصد الإصلاح بين الناس كان محبوباً عند اللّٰه ورسوله، ولم يكن ذلك مصيبة... ولم يكن الحسن أعجز عن القتال من الحسين... وأنّ الذي فعله الحسن هو الأحبّ إلى اللّٰه ورسوله ممّا فعله غيره، واللّٰه يرفع

درجات المتّقين المؤمنين بعضهم على بعض. وكلّهم في الجنّة، رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وقد ثبت أنّه صلّى الله عليه وسلّم أدخلهما مع أبويهما تحت الكساء وقال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. وأنّه دعاهما إلى المباهلة. وفضائلهما كثيرة. وهما من أجلاّء سادات المؤمنين»[1].

أقول:

أوّلاً: لم يتعرّض لفضيلة كونهما سبطي هذه الأُمة، فإنّ ذلك معدود من جلائل فضائلهما في الأحاديث الكثيرة الواردة عن رسول الله ﷺ، كما في ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ١٣٠ وغيره من كتب الحديث والفضائل.

وثانياً: لم يتعرّض لحديث **«إنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة»** أصلاً، مع أنّه من أثبت وأصح فضائلهما الكثيرة كما اعترف، فقد رواه أحمد في المسند ٣ / ٣ والترمذي ٢ / ٣٠٦، ٣٠٧ وابن ماجة في باب الفضائل، والنسائي في الخصائص: ٣٦، والحاكم ٣ / ١٦٧ وابن حجر في الإصابة وابن الأثير في أُسد الغابة، والخطيب في تاريخه ٦ / ٣٧٢ وأبو نعيم في الحلية ٤ / ١٣٩ والمتّقي في كنز العمّال

(١) منهاج السنّة ٢ / ١٢١.

عن عدّة من كبار الحفّاظ، بل في فيض القدير عن السيوطي أنّه حديث متواتر(١).

وثالثاً: قوله: **«ثبت عنه صلّى الله عليه وسلّم أنّه كان يقعده وأُسامة بن زيد على فخذه»**.

أقول:

إنّ الحسن عليه السلام ولد سنة ثلاث من الهجرة على ما في الإستيعاب(٢)، وأُسامة ولد قبلها بعشر سنوات تقريباً، فلو كان الحسن حين كان يقعده النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم على فخذه ابن سنتين أو ثلاث، كان أُسامة ابن ثلاث عشرة سنة، ومثله لا يقعد على الفخذ... بل الثابت أنّه كان يجلس الحسنين على فخذيه ويقول ذلك، بل إنّ أُسامة من رواة الخبر ـ فيمن رواه من الصحّابة ـ كما في الصواعق عن الترمذي(٣) وفي كنز العمال وفيض القدير عن الطبراني(٤). فكأنّ الحديث الذي أورده الرجل محرّف وإن كان كذلك في الكتب الموصوفة بالصّحة، ويشهد بما ذكرنا وروده في مواضع بلفظ: **«عن أُسامة كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يأخذني**

---

(١) فيض القدير ـ شرح الجامع الصغير ٣ / ٤١٥.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ٣٨٤.

(٣) الصواعق المحرقة: ٨٢.

(٤) كنز العمال ٦ / ٢٢١. فيض القدير ٣ / ٤١٥.

والحسن فيقول: **اللّهمّ إنّي أحبّهما فأحبّهما**» رواه جماعة منهم بترجمة أُسامة أو الحسن، وكأنّ راويه التفت إلى الإشكال فأبدل اللفظ إلى «**يأخذني**». والذي يؤكّد الإشكال ويوضّح الحال ما أخرجه الترمذي في باب مناقبهما عليهما السلام عن أسامة قال: «**طرقت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذات ليلة لبعض الحاجة، فخرج النبيّ وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو. فلمّا فرغت عن حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ فكشف عنه فإذا حسن وحسين على وركيه فقال: هذان ابناي وابنا ابنتي، اللّهمّ إنّك تعلم أنّي أحبّهما فأحبّهما، اللّهمّ انّك تعلم أنّي أُحبّهما فأحبّهما وأحبّ من يحبّهما**»(١) فكان أُسامة حينما كان الرسول يحتضن السبطين، بالغاً مبلغ الرجال يطرق الرسول لبعض الحاجة...

فالسؤال هو: كيف قد خفي كلّ هذا على هذا المدّعي والمعترض المغرض؟

وعلى كلّ حال، فنحن لا ننكر أنّه صلى الله عليه وآله كان يحبّ أُسامة، لكنّ الدّعاء المذكور فضيلة تختصّ بالحسنين عليهما السلام ولا ريب في أنّ دعاءه مستجاب، وما ذكره الرجل كذب.

ورابعاً: إنّ من الأحاديث المتّفق عليها ـ كما في كتاب المناقب

---

(١) صحيح الترمذي ٥ / ٦١٤.

لابن شهرآشوب السروي ـ قوله ﷺ: **«الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا»**. وممّن رواه من أهل السنة: الصفوري في نزهة المجالس ٢ / ١٨٤، والصدّيق القنوجي في السراج الوهّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج في باب المناقب، وفي الاتحاف بحبّ الأشراف: أنّه ﷺ قال لهما: **«أنتما الإمامان ولأمّكما الشفاعة»**[1] وقد ذكر ابن تيميّة نفسه أنّه ﷺ قال للحسين عليه السلام: **«هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة»**[2].

وحينئذ، يكون ما فعله الإمام الحسن عليه السلام وما فعله الإمام الحسين عليه السلام مرضيّاً لله ورسوله بلا فرق أصلاً. فكلٌّ منهما إمام معصوم قام بما كان واجباً عليه في زمانه.

(إمامين بنصّ النبي ﷺ)

وهذا أيضاً سكت عليه ابن تيميّة، وكأنّه معترف بمفاد الأحاديث التي ذكرناها، وعلى كلّ حال، فإنّ نصّ النبي ﷺ غير منحصر بالأحاديث المزبورة، ومن أراد المزيد فليرجع إلى مظانّه.

(وكانا أزهد الناس)

(١) الاتحاف بحبّ الأشراف: ١٢٩.

(٢) منهاج السنّة ٤ / ٢١٠.

قال ابن تيميّة: **«وأمّا كونهما أزهد النّاس وأعلمهم في زمانهما فهذا قول بلا دليل»**[١].

أقول:

لو كان عنده دليل ـ ولو ضعيفاً ـ ينقض به ما ذكره العلّامة لأتى به، لأنّه حاول الرّد حتّى بالأباطيل والأكاذيب، كما في المواضع الكثيرة، فنفس سكوته أقوى دليل! وكيف يطالب بالدليل على الأزهدية والأعلميّة لهما وهما إمامان بالنصوص المتواترة والبراهين المتقنة، والإمام يجب أن يكون أزهد وأعلم أهل زمانه؟

ومن مظاهر زهد الإمام الحسن عليه السلام أنّه قاسم اللّه ماله مرتين أو ثلاث مرّات. وهذا من الأُمور الثابتة التي رواها من لا يقول بإمامته: كابن سعد في طبقاته، وأبي نعيم في حليته، وابن عساكر في تاريخه. ومن ذلك ما رواه ابن عساكر بترجمته من تاريخه بسنده عن مدرك بن زياد أحد الصحابة قال: **«كنا في حيطان ابن عباس وحسن وحسين، فطافوا في البستان، فنظروا ثمّ جاءوا إلى ساقية فجلسوا على شاطئها، فقال لي حسن: يا مدرك أعندك غداء؟ قلت: قد خبزنا. قال: ائت به. قال: فجئته بخبز وشيء من ملح جريش وطاقتين من بقل فأكل ثم قال: يا**

---

(١) منهاج السنة ٢ / ١٢.

مدرك ما أطيب هذا؟ ثمّ أتي بغدائه ـ وكان كثير الطعام طيّبه ـ فقال لي: يا مدرك اجمع لي غلمان البستان. قال: فقدّم إليهم فأكلوا ولم يأكل. فقلت: ألا تأكل؟ فقال: ذاك كان أشهى عندي من هذا».

ومن مظاهر زهد الإمام الحسين عليه السلام : ما رواه القوم أيضاً من أنّه: **«حجّ خمسة وعشرين حجة ماشياً وانّ النجائب تقاد معه»**. ومن ذلك أنّه قيل له: ما أعظم خوفك من ربّك؟ فقال: **«لا يأمن يوم القيامة إلّا من خاف الله في الدنيا»**.

أمّا أعلميّتهما من أهل زمانهما ففي غاية الوضوح، فإنّهما الوارثان لعلوم أبيهما باب مدينة علم النبيّ وأقضى الأُمّة من بعده، ومن هنا كانا مستغنيين عن غيرهما، والكلّ محتاجون إلى علمهما. وقد روي أنّه استفتى أعرابي عبد الله بن الزبير وعمرو بن عثمان، فتواكلا، فقال: اتّقيا الله فإنّي أتيتكما مسترشداً، أمواكلة في الدين! فأشارا عليه بالحسن والحسين فأتاهما».

﴿وجاهدا في سبيل الله حتّى قتلا﴾

قال ابن تيميّة: **«وأمّا قوله: وجاهدا في الله حقّ جهاده حتّى قتلا. فهذا كذب عليهما؛ فإنّ الحسن تخلّى عن الأمر وسلّمه إلى معاوية ومعه جيوش، وما كان يختار قتال المسلمين قط. وهذه متواترة في فضائله.**

وأمّا موته فقيل: إنّه مات مسموماً. وهذه شهادة له وكرامة في حقّه، لكن لم يمت مقاتلاً. والحسين رضي الله عنه ما خرج مقاتلاً...».

أقول:

لقد ذكر العلّامة ﷺ عن الإمامين السبطين أمرين أحدهما: إنّهما جاهدا في الله حقّ جهاده. والآخر: إنّهما قتلا حال كونهما مجاهدين في الله حقّ جهاده. فأيّهما كذب عليهما؟ كأنّ هذا الرجل يجهل أو يتجاهل أنّ «**الجهاد**» في الله لا يختص بـ«**القتال**» وأن «**القتل**» في سبيل الله و«**الشهادة**» لا يختص بـ«**السّيف**»؟! وإذا عرفت أنّ الوقوف مطلقاً أمام الكفر والجور «**جهاد**» وأنّ الموت في تلك الحال «**شهادة**» عرفت من الكاذب!!

﴿ولبس الحسن عليه السلام الصوف تحت ثيابه...﴾

قال ابن تيميّة: «**وأمّا قوله عن الحسن إنّه لبس الصوف تحت ثيابه الفاخرة، فهذا من جنس قوله في عليّ إنّه كان يصلّي ألف ركعة. فإنّ هذا لا فضيلة فيه، وهو كذب**».

أقول:

إنّ هذا الرّجل إمّا لا يفهم معنى العبادة والزّهد وجهاد النّفس، وإمّا أنّ العناد لأهل البيت عليهم السلام يحمله على إنكار حتّى مثل هذه

المناقب والمراتب لهم... لكنّ العلّامة قدكتب لمن يفهم العبادة وترويض النفس ويعترف بأنّ ذلك من الفضائل المؤهلة لأصحابها للاقتداء بهم في تلك الأعمال وغيرها، وليشير إلى أنّ الفضل في أن يلبس الإنسان الخشن للّه فلا يعلم بذلك أحداً، لا أن يلبسه للخلق ويتظاهر بذلك بين الناس فيجلب قلوبهم ويشتهر بالزّهد فيهم، كما كان يصنع غيرهم حتّى صار الزهد علماً لهم، وألّفت في ضلالاتهم الكتب، وجاء هذا الرجل يقول: **«وهذه كتب المسلمين التي ذكر فيها زهّاد الأمة ليس فيهم رافضي»**(١).

وأمّا صلاة علي أمير المؤمنين في اليوم والليلة ألف ركعة فكذلك، وهو مرويّ في كتب الفريقين عن مولانا الشهيد أبي عبداللّه الحسين وولده الامام السجاد سيد العابدين(٢) بل قد زعموا ذلك لعدّة من التابعين وغيرهم(٣).

﴿وأخذ النبي صلّى اللّه عليه وسلّم يوماً الحسين على فخذه

---

(١) منهاج السنة ١ / ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٢) أُنظر عن الإمام الحسين: العقد الفريد ٤ / ٣٨٤، المختصر في أخبار البشر ١ / ١٩١ وغيرهما، وعن الإمام سيد العابدين: تذكرة الحفاظ ١ / ٧٥، تهذيب الكمال ١٣ / ٢٤١، تاريخ دمشق ٤١ / ٣٧٨.

(٣) أُنظر: الفوائد البديعة من كتاب وسائل الشيعة، في مجلّة تراثنا العدد ٧٩ ـ ٨٠.

الأيمن، وولده إبراهيم عليه السلام على فخذه الأيسر، فنزل جبرئيل عليه السلام فقال...﴾

قال ابن تيميّة: **«هذا الحديث لم يروه أحدٌ من أهل العلم ولا يعرف له إسناد، ولا يعرف في شيء من كتب الحديث، وهذا الناقل لم يذكر لنا اسناده ولا عزاه إلى كتب الحديث، لكن ذكره على عادته من رواية أحاديث سائبة، بلا زمام ولا خطام، والنقل المجرّد بمنزلة سائر الدعاوى، ثمّ يقال: هذا الحديث كذب موضوع باتّفاق أهل المعرفة بالحديث، وهو من أحاديث الجهّال»**.

أقول:

أوّلاً: قولك: **«هذا الحديث لم يروه أحد من أهل العلم ولا يعرف له إسناد، ولا يعرف في شيء من كتب الحديث»** كذب كما ستعلم.

وثانياً: ليس من دأب المؤلّفين في الكتب الكلاميّة ذكر الأحاديث المستدلّ بها بالإسناد، فهذه كتب الكلام كالمواقف وشرحها، والمقاصد وشرحها، وكتب البيضاوي وغيرها، تذكر فيها الأحاديث بلا أسانيد، ومن هنا جاء من بعدهم فألّفوا الكتب في تخريج أحاديث تلك الكتب. فإن كان ما ذكرته حقّاً توجّه إلى الجميع.

وثالثاً: إنّه كثيراً ما يعزو العلّامة الحديث إلى ناقله، فليس من

عادته ما ذكرته.

ورابعاً: إذا كان النقل المجرّد بمنزلة سائر الدعاوي، فلماذا تقتصر أنت في كثير من الموارد بالنقل المجرّد؟

وخامساً: إن كان ما أورده العلّامة لم ينقله أحد من أهل العلم ولا هو في شيء من كتب الحديث، فلماذا وصفته بالحديث وحكمت عليه بالوضع؟ وكيف قام الإتفاق من أهل المعرفة بالحديث على وضع ما ليس له وجود في شيء من كتب الحديث؟

وبعد، فالحديث رواه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، وهو من أهل العلم عندهم! في كتابه تاريخ بغداد، وهو من كتبهم المعتبرة!

قال: **«أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر المقري قال: نبّأنا محمّد بن الحسن النقّاش قال: زيد بن الحباب قال: نبّأنا سفيان الثوري، عن قابوس ابن أبي ظبيان، عن أبيه، عن أبي العبّاس قال: كنت عند النبي صلّى الله عليه وسلّم وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم، وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي، تارة يقبّل هذا وتارة يقبّل هذا، إذ هبط عليه جبرئيل عليه السلام بوحي من ربّ العالمين، فلمّا سرى عنه قال: أتاني جبرئيل من ربّي فقال لي: يا محمّد، ربّك يقرأ عليك السلام ويقول لك: لست أجمعهما لك، فافدِ أحدهما بصاحبه. فنظر النبي صلّى الله عليه**

وسلّم إلى إبراهيم فبكى، ونظر إلى الحسين فبكى. ثمّ قال: انّ إبراهيم أمّه أمة ومتى مات لم يحزن عليه غيري، وأُم الحسين فاطمة، وأبوه علي ابن عمّي، لحمي ودمي، ومتى مات حزنت ابنتي فاطمة وحزن ابن عمّي وحزنت أنا عليه. وأنا أوثر حزني على حزنهما، يا جبريل تقبض إبراهيم. فديته بإبراهيم. قال: فقبض بعد ثلاث.

فكان النبي صلّى الله عليه وسلّم إذا رأى الحسين مقبلاً قبّله وضمّه إلى صدره ورشف ثناياه وقال: فديت من فديته بابني إبراهيم»[1].

---

(١) تاريخ بغداد ٢ / ٢٠٤.

(٤)

الإمام علي بن الحسين عليه السلام

﴿وكان علي بن الحسين زين العابدين ﷺ يصوم نهاره ويقوم ليله، ويتلو... وسجد حتّى حشي مساجده كخفّ البعير وسمّي ذا الثفنات، وسمّاه رسول الله ﷺ سيد العابدين﴾

قال ابن تيمية: «**وأمّا علي بن الحسين، فمن كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً**، أخذ عن: أبيه، وابن عباس، والمسور بن مخرمة، وأبي رافع مولى النبي صلّى الله عليه وسلّم، وعائشة، وأمّ سلمة، وصفيّة أُمّهات المؤمنين، وعن مروان بن الحكم، وسعيد بن المسيب، وعبد الله بن عثمان، وذكوان مولى عائشة، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم.

وروى عنه: أبو سلمة بن عبد الرحمن، ويحيى بن سعيد الأنصاري، والزهري، وأبو الزناد، وزيد بن أسلم، وابنه أبو جعفر.

قال يحيى بن سعيد: هو أفضل هاشمي رأيته في المدينة، وقال

محمّد بن سعد في الطبقات: كان ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً. وروي عن حمّاد بن زيد قال: سمعت علي بن الحسين ـ وكان أفضل هاشمي أدركته ـ يقول: يا أيّها الناس أحبّونا حبّ الاسلام، فما برح بنا حبّكم حتّى صار عاراً علينا. وعن شيبة بن نعامة قال: كان علي بن الحسين يبخل. فلمّا مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة في السرّ.

وله من الخشوع وصدقة السرّ وغير ذلك من الفضائل ما هو معروف، حتّى أنّه كان من صلاحه ودينه يتخطّى مجالس أكابر الناس ويجالس زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب ـ وكان من خيار أهل العلم والدين من التابعين ـ فيقال له: تدع مجالس قومك وتجالس هذا؟ فيقول: انّما يجلس الرجل حيث يجد صلاح قلبه.

وأمّا ما ذكره من قيام ألف ركعة، فقد تقدّم أنّ هذا لا يمكن إلّا على وجه مكروه في الشريعة، أو لا يمكن بحال، فلا يصلح ذكره لمثل هذا في المناقب.

وكذلك ما ذكره من تسمية رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم له سيّد العابدين، هو شيء لا أصل له. ولم يروه أحد من أهل العلم والدّين»(١).

---

(١) منهاج السنة ٢ / ١٢٣.

أقول:

هذا كلّ ما ذكره الرجل حول الإمام السجاد عليه السلام أوردته بنصّه، **فأقول:**

أوّلاً: لقد سكت عن بعض ما ذكره العلّامة، وسكوته دليل القبول، لكن نفسه لم تسمح له بالتّصريح. نعم لقد كان الإمام علي بن الحسين عليه السلام أعبد أهل زمانه عند الخاصّ والعامّ، يصوم نهاره، ويقوم ليله، ويتلو الكتاب العزيز، ويدعو بالأدعية المنقولة... لمّ يرمي الصحيفة كالمتضجّر... وكان يبكي كثيراً... وسجد حتّى حشى مساجده... وعن كلّ هذا سكت الرّجل، وكلّه ثابت سواء قبل أو أنكر...

وسكت أيضاً عن قضيّة استلامه الحجر بعد أن لم يمكن ذلك لهشام، وشعر الفرزدق في هذه القضية... وأنّى له أو لغيره انكار قضيّة تجاوزت حدّ الرّواية وعدّت من ضروريّات التاريخ!!

وثانياً: لقد اعترف بكون الإمام عليه السلام من كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً، ونقل كلمات عن بعض أكابر القوم في الثناء عليه.

وأقول: إنّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام إمام معصوم منصوص عليه، والأدلّة النقلية والعقليّة على إمامته كثيرة مذكورة في محلّها،

فعدّه من **«التابعين»** إنّما هو على اصطلاح أهل السنّة.

ولقد كان بإمكان الرجل نقل كلمات أُخرى، لكن منعه عن ذلك بغضه وعناده، وإلّا، فقد أطنب في موارد كثيرة بأباطيل وأكاذيب، وربّما كرّر المطلب الواحد أكثر من مرّة، وربّما تعرّض في مواضع لبحوث خارجة عن المقصود فيها، بل لم تسمح له نفسه بإيراد كلّ ما نقله محمّد بن سعد وأبو نعيم الحافظ بترجمته من الطبقات والحلية، فنقل عنهما بعض ما ورد فيهما.

وثالثاً: لقد أنكر ما ذكره العلّامة من صلاة الإمام في اليوم والليلة ألف ركعة، وما ذكره من تسمية رسول اللّه ﷺ له سيّد العابدين وقال: **«هو شيء لا أصل له، ولم يروه أحد من أهل العلم والدين»**.

أقول:

أمّا الصّلاة ألف ركعة في كلّ يوم وليلة، فكان ذلك عمله كأبيه وجدّه... والتكذيب به عداء وعناد وتعصّب، وقد أقرّ به غير واحد من حفّاظ أهل السنّة كما تقدّم.

وأمّا تسمية الرسول ﷺ إيّاه سيّد العابدين، فذاك مرويّ عن رسول اللّه ﷺ في كتب الفريقين، وممّن رواه من العامة الحافظ سبط ابن الجوزي عن المدائني عن جابر بن عبد اللّه أنّه قال

لأبي جعفر محمّد بن علي ﷺ: **«رسول الله يسلّم عليك، فقيل لجابر: وكيف هذا؟ فقال: كنت جالساً عند رسول الله والحسين في حجره هو يداعبه، فقال: يا جابر يولد له ولد اسمه علي، إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم سيّد العابدين، فيقوم ولده، ثمّ يولد له ولد اسمه محمّد، فإن أدركته يا جابر فاقرأه منّي السّلام: «وكفاه شرفاً أن ابن المديني روى عن جابر أنّه قال له ـ وهو صغير ـ: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسلّم عليك. فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: كنت جالساً...»**[1]. ورواه أبو عمرو الزاهد في كتابه (اليواقيت) عن الزهري، وفي الحلية: **«وكان الزهري إذا ذكر علي بن الحسين يبكي ويقول: زين العابدين»**[2].

ولقد جاء وصفه ﷺ: بـ**«سيّد العابدين»** أو **«زين العابدين»** في سائر الكتب المذكورة فيها أحواله وترجمته مثل: وفيات الأعيان ٢ / ٤٢٩، حلية الأولياء ٣ / ١٣٣، طبقات ابن سعد ٥ / ١٥٦ تذكرة الحفّاظ ١ / ٧٤، تهذيب التهذيب ٧ / ٣٠٤، طبقات الحفاظ: ٣٧، طبقات القراء ١ / ٥٣٤.

فهل يكفي هذا القدر لبيان كذب الرجل؟!

(١) الصواعق المحرقة: ١٢٠.

(٢) حلية الأولياء ٣ / ١٣٥.

ورابعاً: لقد ذكر أشياء لا بدّ من التحقيق حولها:

أخذه عن أبيه وابن عبّاس و... فإنّ الإمام زين العابدين عليه السلام أخذ عن أبيه الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، والحسين السبط أخذ عن والده أمير المؤمنين، وهو عن رسول ربّ العالمين صلى الله عليه وآله وسلم... وبحسب السجّاد أخذه عن والده، فإنّه حينئذ وارث علوم سيد النبيّين صلى الله عليه وآله وسلم، وغنيّ عن الأخذ عن غيره، لأنّ الذين ذكرهم لم يدانوه في العلم والفضل أصلاً، بل فيهم من لا يعدّ من أهل العلم، ولا ريب في أنّ أفضل من ذكر اسمه ـ بعد الحسين عليه السلام ـ هو ابن عبّاس، لكنّ كلّ ما عنده من العلم فمأخوذ عن علي والحسنين عليهم السلام وهو بعض ما ورثه السجّاد عنهم....

ومن الإفك: ما ذكره من أنّه أخذ عن عائشة ومروان بن الحكم، فإنّ كلّ عاقل يعلم بأن لا نسبة بينه وبينهما في العلم والفضيلة، ومع ما كان منهما بالنسبة إلى جدّه أمير المؤمنين وعمّه الحسن السّبط الأكبر عليهما السلام، وما ورد في مروان بن الحكم اللعين ابن اللعين!!

كما أنّ ما ذكره من أنّه كان يتخطّى مجالس أكابر الناس... كذب واضح، ولو كان هناك مجالسة بينهما، فإنّ الأمر بالعكس، فقد عدّ زيد بن أسلم في كتبنا في أصحاب السجاد عليه السلام، كما أنّ الرجل نفسه

عدّه فيمن أخذ عنه ﷺ، واللفظ الذي رواه الحافظ أبو نعيم: **«كان علي بن الحسين يتخطّى حلق قومه حتّى زيد بن أسلم فيجلس عنده، فقال: إنّما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه»**(١) فهو الذي كان ينفع زيداً ـ بناءً على صحّة هذا الخبر ـ لأنّه كان يقول: **«من كتم علماً أحداً أو أخذ عليه أجراً رفداً فلا ينفعه أبداً»**(٢).

أقول:

وكم كذبوا على هذا الإمام كما كذبوا على آبائه وأبنائه؟! فلقد جاء في أصحّ كتبهم ـ أعني البخاري ـ **«وقال علي بن الحسين: يعني مثنى أو ثلاث أو رباع»** قال شرّاحه:

«وهذا من أحسن الأدلّة في الردّ على الرافضة، لكونه من تفسير زين العابدين، وهو من أئمتهم الذين يرجعون إلى قولهم ويعتقدون عصمتهم»(٣).

وحاصله نسبة القول بجواز التزوّج بما يزيد على الأربع إلى

---

(١) حلية الأولياء ٣ / ١٣٨.

(٢) حلية الأولياء ٣ / ١٤٠.

(٣) فتح الباري ١١ / ٤١، إرشاد الساري ٨ / ٢٦، عمدة القاري ٢٠ / ٩١. وقد وصفوه بـ«زين العابدين» على رغم أنف المعاندين والحاسدين!

الإمام زين العابدين عليه السلام، وهي نسبة كاذبة لا أساس لها من الصحّة أبداً. بل الأمر بالعكس، فإنّ القول بجواز التزوّج بما يزيد على الأربع منسوب إلى غير واحد من كبار فقهاءهم مستدلّين بالآية المباركة؛ كما لا يخفى على من راجع: تبيين الحقائق للزيلعي الحنفي ١ / ١٤٣ ونيل الأوطار للشوكاني ٦ / ١٦٩، بل فيهم من قال بجواز التزوّج بأيّ عدد شاء من النساء. وذكره النيسابوري بتفسير الآية من تفسيره غرائب القرآن ٤ / ١٧٢.

وكان قد حجّ هشام بن عبد الملك، فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه للزحام، فجاء زين العابدين عليه السلام، فوقف الناس له، وتنحّوا عن الحجر حتى استلمه...

أقول:

قد ذكرت هذه القصة والقصيدة في كثير من مؤلّفات الفريقين، ونحن نكتفي بذكر عدّة من كتب أهل السنّة فقط:

حلية الأولياء لأبي نعيم الإصفهاني ٣ / ١٣٩. تذكرة خواص الأمّة لسبط ابن الجوزي الحنفي: ٣٢٩. وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ / ٢٠٠. صفة الصفوة لابن الجوزي الحنبلي ٢ / ٥٥. تاريخ ابن كثير ٩ / ١٠٨. مرآة الجنان، لليافعي ١ / ٢٣٩. مطالب السئول، لابن طلحة

الشافعي: ٦٤. حياة الحيوان، للدميري ١ / ٩. شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي ١ / ١٤٢. زهر الآداب، للقيرواني ١ / ١٠٢. شرح شواهد مغني اللبيب، للسيوطي: ٢٤٩. كفاية الطالب، للكنجي الشافعي: ٣٠٣. شرح الحماسة، للتبريزي ٤ / ٨٢. الفصول المهمة، لابن الصبّاغ المالكي: ١٩٣. الصواعق المحرقة، لابن حجر: ١٢٠. قصص العرب، لأحمد جاد المولى ٢ / ٢٥٤. جواهر الأدب، لأحمد الهاشمي ٢ / ١٥. نور الأبصار، للشبلنجي: ١٩٣.

وقد أورد ذلك ابن تيميّة، ولم يتكلّم عليه بشيء!!

هذا، والفرزدق هو: همام بن غالب الدارمي التميمي البصري، كنيته: أبو فراس، ولد سنة: ١٩، قدّمه أئمّة الأدب على مثل جرير والأخطل، وقال بعضهم: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب. اشتهر أخيراً بتجاهره بحبّ أهل البيت عليهم السلام ودفاعه عنهم، وقصيدته الرائعة المشهورة من أقوى الشواهد على إيمانه بإمامتهم وولايتهم بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، قال السيد المرتضى: كان الفرزدق قد نزع في آخر عمره عمّا كان عليه من القذف والفسق، وراجع طريقة الدين، على أنّه لم يكن في خلال فسقه منسلخاً عن الدين جملة ولا مهملاً أمره أصلاً. وتوفي بالبصرة سنة: ١١٠ وقد قارب المائة. توجد ترجمته في: أمالي المرتضى ١ / ٦٢، الأغاني ٢١ / ٢٢٩، الدرجات الرفيعة: ٥٤١، معجم

الأُدباء ٧ / ٢٥٢، خزانة الأدب ١ / ٢٠٢، شذرات الذهب ١ / ١٤١ وغيرها.

﴿وكان بالمدينة قوم يأتيهم رزقهم ليلاً ولا يعرفون ممّن هو، فلمّا مات زين العابدين انقطع ذلك عنهم، وعرفوا أنّه منه ﷺ﴾

وهذا ممّا اعترف به ابن تيميّة أيضاً، واتّفقت عليه كلمة المؤرّخين من الفريقين، كما لا يخفى على من راجع حلية الأولياء لأبي نعيم الحافظ ٣ / ١٣٩ وصفة الصفوة للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي ٢ / ٧٠ وغيرهما.

(٥)

الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام

﴿وكان ابنه محمّد الباقر عليه السلام أعظم الناس زهداً وعبادةً، بقر السجود جبهته، وكان أعلم أهل وقته﴾

قال ابن تيميّة: «**وكذلك أبو جعفر محمّد بن علي، من خيار أهل العلم والدّين. وقيل: انّما سمّي الباقر لأنّه بقر العلم، لا لأجل بقر السجود جبهته، وأمّا كونه أعلم أهل زمانه فهذا يحتاج إلى دليل. والزّهري من أقرانه وهو عند الناس أعلم منه**»[1].

أقول:

لم يعترض على العلاّمة وصفه الإمام الباقر عليه السلام : بـ«**أعظم الناس زهداً وعبادة**» ولم يفره بصراحة حقداً وعناداً.

أمّا أنّه سمّي الباقر لأنّه بقر العلم، فهذا ما يقوله العلاّمة وسينقل

(١) منهاج السنّة ٢ / ١٢٣.

الخبر فيه وإنّها تسمية من النبي ﷺ ، وإنّما قال: «**أعظم الناس زهداً وعبادة بقر السجود جبهته**» لبيان كثرة عبادته. لكن في (الطبقات): «...**حدّثني هارون بن عبد الله بن الوليد المصيّصي قال: رأيت محمّد بن علي على جبهته وأنفه أثر السجود، ليس بالكثير**»[1] والحافظ سبط ابن الجوزي الحنفي قال: «**وإنّما سمّي الباقر من كثرة سجوده، بقر السجود جبهته، أي فتحها ووسّعها. وقيل لغزارة علمه. قال الجوهري في الصحاح: التبقّر التوسّع في العلم، قال: وكان يقال محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الباقر، لتبقّره في العلم**»[2].

وأمّا قوله: «**كونه أعلم أهل زمانه يحتاج إلى دليل، والزهري من أقرانه وهو عند الناس أعلم منه**» فيقال:

أولاً: لو أمكنه الإنكار، لباح بذلك، فإمساكه عن الإنكار ـ مع ما هو عليه من العناد لآل البيت الأطهار ـ دليل.

وثانياً: إشتهاره بالباقر ـ لأنّه بقر العلم ووسّعه، وهذا الوجه في التسمية هو الذي ذكره ـ دليل آخر.

وثالثاً: لو كان في عصره أعلم منه لاشتهر وعرف، كيف وأئمة

---

(١) طبقات ابن سعد ٥ / ٣٢٣.

(٢) تذكرة خواص الأمة: ٣٦٦.

القوم ـ الذين مازالوا يقلّدونهم ـ هم تلامذته كما ستعرف.

موجز ترجمة الزهري:

رابعاً: إنّه قد ذكر الزّهري في مقابلة الباقر عليه السلام ، لكنّه نسب القول بأعلميّته إلى الناس، وكأنّه غير جازم بهذه الدّعوى، ولكن من هؤلاء الناس الذين يقولون بأعلميّة الزهري من الباقر عليه السلام ؟ لقد نسب هذا إلى **«الناس»** هنا وكان من قبل نسبه إلى **«اتّفاق أهل العلم»** حيث قال: **«... فالزهري أعلم بأحاديث النبي صلّى الله عليه وسلّم وأحواله وأقواله ـ باتّفاق أهل العلم ـ من أبي جعفر محمّد بن عليّ، وكان معاصراً له»**[1].

إنّه يريد الحطّ من شأن أئمة أهل البيت عليهم السلام ! لكنّه يعلم بأنّ آراءه لا قيمة لها، فينسب مزاعمه تارة إلى **«أهل العلم»** وإلى **«الناس»** أُخرى! وهل يقول أحد ـ إذا كان من أهل العلم والدّين حقّاً ـ بأعلميته والكلّ يشهدون بأنّه من الراوين والآخذين عن الباقر فيمن أخذ وروى؟

وما الذي يحمله على ذكر خصوص الزهري والتبجّح به في مقابلة أئمة أهل البيت في غير موضع من كتابه؟

الحقيقة أنّ الزّهري من أشهر المنحرفين عن أميرالمؤمنين

---

(١) منهاج السنّة ١ / ٢٣٠.

وأهل البيت الطّاهرين، فالرجل إنّما يذكره لكونه على رأيه واعتقاده، على ما ذكره ابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي، فإنّه قال: **«وكان الزهري من المنحرفين عنه عليه السلام. وروى جرير بن عبد الحميد عن محمد بن شيبة قال: شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران علياً عليه السلام فنالا منه، فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فجاء حتى وقف عليهما، فقال: أمّا أنت يا عروة فانّ أبي حاكم أباك إلى الله فحكم لأبي على أبيك. وأما أنت يا زهري فلو كنت بمكة لأريتك كير أبيك»** قال: **«وروى عاصم بن أبي عامر البجلي عن يحيى بن عروة قال: كان أبي إذا ذكر علياً نال منه»**(١).

ويؤكّد هذا سعيه وراء انكار مناقب الأمير عليه السلام، كمنقبة سبقه إلى الإسلام، قال ابن عبد البر بترجمة زيد بن حارثة: **«وذكر معمر في جامعه عن الزهري قال: ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة. قال عبد الرزّاق: وما أعلم أحداً ذكره غير الزهري»**(٢).

وروايته عن عمر بن سعد اللعين قاتل الحسين بن علي أمير المؤمنين عليه السلام، قال الذهبي **«عمر بن سعد بن أبي وقّاص،**

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤ / ١٠٢.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ / ٥٤٦.

عن أبيه، وعنه إبراهيم وأبو اسحاق، وأرسل عنه الزهري وقتادة. قال ابن معين: كيف يكون من قتل الحسين ثقة؟»[١].

وكونه من عمّال بني أُميّة ومشيّدي سلطانهم حتّى أنكر عليه ذلك العلماء والزّهاد؛ فقد ذكر العلّامة الدهلوي بترجمته من (رجال المشكاة): **«أنّه قد ابتلي بصحبة الأُمراء بقلّة الديانة، وكان أقرانه من العلماء والزهاد يأخذون عليه وينكرون ذلك منه، وكان يقول: أنا شريك في خيرهم دون شرّهم! فيقولون: ألا ترى ما هم فيه وتسكت؟!»**.

ومن هنا قدح فيه ابن معين؛ فقد **«حكى الحاكم عن ابن معين أنّه قال: أجود الأسانيد: الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله. فقال له إنسان: الأعمش مثل الزهري. فقال: تريد من الأعمش أن يكون مثل الزهري! الزهري يرى العرض والإجازة، ويعمل لبني أُميّة، والأعمش فقير صبور مجانب للسلطان ورع عالم بالقرآن»**[٢].

وقال الذهبي: **«أبو بكر ابن شاذان البغدادي، حدّثنا علي بن محمّد السّواق، حدّثنا جعفر بن مكرم الدقّاق، حدّثنا أبو داود، حدّثنا شعبة قال: خرجت أنا وهشيم إلى مكة، فلما قدمنا الكوفة رآني هشيم مع**

---

(١) الكاشف عن أسماء رجال الكتب الستة ٢ / ٨٤.

(٢) تهذيب التهذيب ٤ / ١٩٧ ترجمة الأعمش.

أبي إسحاق فقال: من هذا؟ قلت: شاعر السبيع، فلما خرجنا جعلت أقول: حدّثنا أبو إسحاق، قال: وأين رأيته؟ قلت: هو الذي قلت لك شاعر السبيع. فلما قدمنا مكة مررت به وهو قاعد مع الزهري فقلت: يا أبا معاوية من هذا؟ قال: شرطي لبني أُميّة، فلما قفلنا جعل يقول: حدّثنا الزهري فقلت: وأين رأيته؟ قال: الذي رأيته معي. قلت: أرني الكتاب، وأخرجه. فخرّقته»[1].

وقال الذهبي: **«قال أحمد بن عبدويه المروزي: سمعت خارجة بن مصعب يقول: قدمت على الزهري وهو صاحب شرط بني أُميّة، فرأيته ركب وفي يديه حربة وبين يديه الناس في أيديهم الكافركوبات، فقلت: قبّح الله ذا من عالم، فلم أسمع منه»**[2].

هذا، ولقد ورث الزهري هذا العداء للاسلام والنبي وأهل بيت النبوّة من آبائه، فقد ذكر ابن خلّكان بترجمته: **«وكان أبو جدّه عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدراً، وكان أحد النفر الذين تعاقدوا يوم أحد لئن رأوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليقتلنّه أو ليقتلنّ دونه. وروي: أنّه قيل للزهري: هل شهد جدّك بدراً؟ فقال: نعم ولكن من ذلك الجانب.**

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧ / ٢٢٦.

(٢) ميزان الاعتدال ١ / ٦٢٥.

يعني أنّه كان في صفّ المشركين. وكان أبوه مسلم مع مصعب بن الزبير. ولم يزل الزهري مع عبد الملك ثم مع هشام بن عبد الملك، وكان يزيد بن عبد الملك قد استقضاه»(١).

﴿سمّاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «الباقر» جاء جابر...﴾

هذا الخبر ممّا اتّفق الطرفان على روايته. وقال ابن شهراشوب: **«حديث جابر مشهور معروف رواه فقهاء المدينة والعراق كلّهم»**(٢) وفي (كشف الغمة) نقله عن ابن الزبير محمّد بن مسلم المكي أنّه قال: **«كنّا عند جابر بن عبد الله، فأتاه علي بن الحسين ومعه ابنه محمّد وهو صبيّ...»**(٣) وروى ابن قتيبة: **«أنّ هشاماً قال لزيد بن علي: ما فعل أخوك البقرة؟ فقال زيد: سمّاه رسول الله باقر العلم وأنت تسمّيه بقرا فاختلفتما اذن»**(٤).

وقال الزبيدي الحنفي في «الباقر»: **«قلت: وقد ورد في بعض الآثار عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال له: يوشك أن تبقى حتّى تلقى ولداً لي من الحسين يقال له محمّد يبقر**

---

(١) وفيات الأعيان ٤ / ١٧٧ ترجمة الزهري.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤ / ١٩٦.

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة ٢ / ٣٣١.

(٤) عيون الأخبار ١ / ٢١٢.

العلم بقراً، فإذا لقيته فاقرأه منّي السلام، خرّجه أئمة النسب»(١).

وهذا القدر كاف لتبيين كذب المفتري القائل: **«ونقل تسميته بالباقر عن النبي صلّى الله عليه وسلّم لا أصل له عند أهل العلم، بل هو من الأحاديث الموضوعة. وكذلك حديث تبليغ جابر له السلام هو من الموضوعات عند أهل العلم بالحديث»**.

هذا، ولا بدّ من التنبيه على أنّ جملة **«وهو صغير في الكتاب»** زيادةٌ من الرّواة.

﴿وروى عنه أبو حنيفة وغيره﴾

أقول:

ذكر رواية أبي حنيفة وغيره عن الباقر عليه السلام الحافظ ابن حجر العسقلاني بترجمته(٢)، وبترجمة الباقر عليه السلام: **«روى عنه: أبو إسحاق السبيعي، والأعرج، والزهري، وعمرو بن دينار، والأوزاعي، وابن جريج، والأعمش وغيرهم»**(٣).

وقال أبو نعيم: **«روى عنه من التابعين: عمرو بن دينار، وعطاء بن**

(١) تاج العروس ٣ / ٥٥.

(٢) تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٠١.

(٣) تهذيب التهذيب ٩ / ٣١٢.

أبي رباح، وجابر الجعفي، وأبان بن تغلب. وروى عنه من الأئمة والأعلام، ليث بن أبي سليم، وابن جريج، وحجاج بن أرطاة، في آخرين»[١].

وقال الذهبي: «الإمام الثبت الهاشمي العلوي المدني، أحد الأعلام،... حدّث عنه: ابنه جعفر بن محمّد، وعمرو بن دينار، والأعمش، والأوزاعي، وابن جريج، وقرّة بن خالد، وخلق»[٢].

---

(١) حلية الأولياء ٣ / ١٨٨.

(٢) تذكرة الحفاظ ١ / ١٢٤.

(٦)

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

﴿وكان ابنه الصادق عليه السلام أفضل أهل زمانه وأعبدهم﴾

قال ابن تيميّة: «وجعفر الصّادق ـ رضي الله عنه ـ من خيار أهل العلم والدّين. أخذ العلم عن جدّه أبي أُمّه أُمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر الصدّيق، وعن محمّد بن المنكدر، ونافع مولى ابن عمر، والزهري، وعطاء بن أبي رباح، وغيرهم. وروى عنه: يحيى بن سعيد الأنصاري، مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وابن جريج، وشعبة، ويحيى بن سعيد القطّان، وحاتم بن إسماعيل، وحفص بن غياث، ومحمّد بن إسحاق بن يسار. وقال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمّد علمت أنّه من سلالة النبيّين...»

أقول:

لم يلتفت الرجل إلى كلمة العلامة: «أفضل أهل زمانه وأعبدهم»

لا بالنفي ولا بالإثبات... ولنورد كلمات عدّة من أئمة القوم تأكيداً لما ذكره العلاّمة ﷺ:

قال إمامهم مالك بن أنس: «**جعفر بن محمّد، اختلفت إليه زماناً، فما كنت أراه إلّا على إحدى ثلاث خصال، إمّا مصلّ وإمّا صائم وإمّا يقرأ القرآن، وما رأيته يحدّث إلّا عن طهارة**»[1].

وقال إمامهم أبو حنيفة: «**ما رأيت أفقه من جعفر بن محمّد. لمّا أقدمه المنصور بعث إليّ فقال: يا أبا حنيفة: انّ الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمّد، فهيّئ له من المسائل الشّداد، فهيّأت له أربعين مسألة، ثمّ بعث إليّ أبو جعفر ـ وهو بالحيرة ـ فأتيته فدخلت عليه وجعفر بن محمّد جالس عن يمينه، فلمّا أبصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمّد الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلّمت عليه وأومأ إليّ، فجلست، ثم التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة. قال جعفر: نعم ثمّ أتبعها قد أتانا ـ كأنّه كره ما يقول فيه قوم انّه إذا رأى الرجل عرفه ـ ثمّ التفت المنصور إليّ فقال: يا أبا حنيفة ألق على أبي عبد الله من مسائلك. فجعلت ألقي عليه فيجيبني، فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا. فربّما تبعناهم وربّما خالفنا جميعاً. حتّى**

(١) تهذيب التهذيب ٢ / ٨٩.

أتيت على الأربعين مسألة. ثمّ قال أبو حنيفة: ألسنا روينا أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس»(١).

وقال ابن حبّان: **«كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً»**(٢).

وقال أبو حاتم محمّد بن إدريس الرازي: **«لا يسأل عن مثله»**(٣).

وقال ابن خلّكان: **«كان من سادات آل البيت، ولقّب بالصادق لصدقه، وفضله أشهر من أن يذكر»**(٤).

وقال أبو الفرج ابن الجوزي: **«كان مشغولاً بالعبادة عن حبّ الرئاسة»**(٥).

وقال أبو الفتح الشهرستاني: **«جعفر بن محمّد الصادق، هو ذو علم وأدب كامل في الحكمة، وزهد في الدنيا وورع تامّ عن الشهوات. وقد أقام بالمدينة مدّةً يفيد الشيعة المنتمين إليه ويفيض على الموالين له أسرار العلوم. ثمّ دخل العراق وأقام بها مدّةً، ما تعرّض للإمامة قط،**

---

(١) جامع مسانيد أبي حنيفة ١ / ٢٢٢، تذكرة الحفاظ ١ / ١٥٧.

(٢) الثقات وعنه تهذيب التهذيب ٢ / ٨٩.

(٣) تهذيب التهذيب ٢ / ٨٨.

(٤) وفيات الأعيان ١ / ٢٩١.

(٥) صفة الصفوة ٢ / ٩٤.

ولا نازع في الخلافة أحداً. ومن غرق في بحر المعرفة لم يقع في شط، ومن تعلّى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط»[١].

وقال أبو نعيم: «**جعفر بن محمّد الإمام الناطق، ذو الزّمام السابق، أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق، أقبل على العبادة والخضوع. وآثر العزلة والخشوع. ونهى عن الرئاسة والجموع**»[٢].

وقال النّووي: «**اتفقوا على إمامته وجلالته**»[٣].

وأمّا الذين ذكر أنّهم أخذوا عنه فهم بعض من كلّ، كما لا يخفى على من راجع ترجمته في الكتب المذكورة وغيرها. وأمّا أخذه عن الذين ذكرهم فكذب، وممّا يوضّح كذبه دعواه الأخذ عن الزّهري الذي عرفت حاله.

﴿وقال علماء السّيرة: إنّه اشتغل بالعبادة عن طلب الرئاسة﴾

قال ابن تيميّة: «**وأمّا قوله: اشتغل بالعبادة عن الرئاسة، فهذا تناقض من الإمامية، لأنّ الإمام عندهم واجب أن يقوم بها وبأعبائها، فانّه لا إمام في وقته الّا هو. فالقيام بهذا الأمر أعظم لو كان واجباً وأولى من**

(١) الملل والنحل ١ / ١٤٧.

(٢) حلية الأولياء ٣ / ١٩٢.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٥٥.

الاشتغال بنوافل العبادات».

أقول:

إنّ الإمام المنصوص عليه بالإمامة يجب عليه قبولها والقيام بأعبائها متى ما أقبل عليه المسلمون وبايعوه وطلبوا منه ذلك، لكنّ هذا لم يكن من الناس، وعلى الجملة، فإنّ الحكومة والرئاسة من شئون الإمام الحق، فإن تمكّن منها وجبت عليه وإلّا لم تجب عليه المطالبة بها، كما هو الحال بالنسبة إلى النبي.

وفي كلمات أئمة أهل البيت ممّا يشهد بذلك كثير، ومن ذلك كلمات الأمير عليه السلام في (نهج البلاغة). ثمّ إنّ الذي ذكره العلّامة لم يكن منقولاً عن الإمامية حتى يكون تناقضاً منهم، بل إنّه قال: «**قال علماء السّيرة...**» وقد وجدت هذا القول في الكلمات التي نقلناها، في عبارة ابن الجوزي، وأبي نعيم، والشهرستاني... لكن الرّجل نسب هذا إلى العلّامة نفسه قائلاً: «**وأمّا قوله...**» حتّى يشكل بالتناقض على زعمه!!

﴿قال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمّد علمت أنّه من سلالة النبيّين﴾

هذا مذكور بترجمة الإمام أبي عبد اللّه جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، عن عمرو بن أبي المقدام، في سائر كتب الرجال

والحديث المعتبرة عند القوم. فراجع منها: تهذيب الكمال، وتهذيب التهذيب، وتهذيب الأسماء واللغات.

﴿وهو الذي نشر فقه الإماميّة والعقائد اليقينيّة﴾

أشار إلى ذلك أبو الفتح عبد الكريم الشهرستاني في كلامه المتقدّم، وقال اليافعي بترجمته: **«له كلام نفيس في علوم التوحيد وغيرها. قد ألّف تلميذه جابر بن حيّان الصوفي كتاباً يشتمل على ألف ورقة يتضمّن رسائله وهي خمسمائة رسالة»**[1] وقال الآلوسي **«هذا أبو حنيفة ـ وهو من أهل السنّة ـ يفتخر ويقول بأفصح لسان: لولا السّنتان لهلك النعمان»** يعني اللتين جلس فيهما لأخذ العلم من الإمام جعفر الصادق»[2].

لكنّ الرّجل لم يفهم مغزى هذا الكلام فقال: **«وأمّا قوله: هو الذي نشر فقه الإمامية والمعارف الحقيقية والعقائد اليقينية. فهذا الكلام يستلزم أحد أمرين: إمّا أنّه ابتدع في العلم ما لم يكن يعلمه من قبله. وإمّا أن يكون الذي قبله قصّر فيما يجب من نشر العلم. وهل يشكّ عاقل أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم بيّن لأُمّته المعارف الحقيقية والعقائد اليقينية أكمل بيان، وأن أصحابه تلقّوا عنه ذلك وبلّغوه إلى المسلمين؟ وهذا**

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١ / ٣٠٤.

(٢) مختصر التحفة الاثنا عشرية: ٨.

يقتضي القدح إمّا فيه وإمّا فيهم، بل هو كذب، فقد كذب على جعفر الصادق، أكثر ممّا كذب على من قبل، فالآفة وقعت من الكذّابين عليه لا منه».

أقول:

باللّه عليك! أيّ شيء قاله العلّامة حتّى تتوجّه إليه هذه التّهم والإفتراءات؟ يقول العلّامة: إنّ الصادق ﷺ **«نشر المعارف الحقيقية والعقائد اليقينية»** وكلّ من يكون من أهل اللّسان ـ وليس في قلبه مرض ـ يفهم من هذا الكلام أنّ الصادق ﷺ علّم وبيّن وشرح وبلّغ المعارف الحقيقية والعقائد اليقينية التي كان قد جاء بها رسول اللّه ﷺ، وتعلّمها منه عن طريق آبائه، فلا هو ابتدع أشياء، ولا أنّ النبي ﷺ قصّر... ولا قدح فيه ولا في أصحاب الرّسول الذين تعلّموا منه شيئاً وبلّغوا ما تعلّموا كما تعلّموا...

﴿وكان لا يخبر بأمرٍ إلّا وقع، وسمّوه الصادق الأمين﴾

وحياته سلام اللّه عليه مليئة بالوقائع من هذا القبيل، فقد كان صادقاً، **«مستجاب الدّعوة إذا سأل اللّه شيئاً لا يتمّ قوله إلّا وهو بين يديه»**(١)، ولا يخبر بشيء إلّا وقع، ومن ذلك ما ذكره العلّامة من

(١) نور الأبصار: ٢٩٥.

أمر العلويين.

﴿وكان عبد الله بن الحسن عليه السلام جمع أكابر العلويين للبيعة لولديه...﴾

روى أبو الفرج الإصفهاني بسنده عن عمر بن شبّة بأسانيده: أنّ جماعةً من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء وفيهم: إبراهيم بن محمّد بن علي بن عبد الله بن العبّاس، وأبو جعفر المنصور، وصالح بن علي، وعبد الله بن الحسن بن الحسن، وابناه محمّد وإبراهيم، ومحمّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان... فبايعوا جميعاً محمّداً [ابن عبد الله بن الحسن] وأرسل بذلك إلى جعفر بن محمّد عليهما السلام، قال عبد الله بن الحسن: لا نريد جعفراً لئلّا يفسد عليكم أمركم... وجاء جعفر، فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه فقال: لا تفعلوا، فإنّ هذا الأمر لم يأت بعد، فغضب عبد الله وقال: لقد علمت خلاف ما تقول، ووالله ما أطلعك الله على غيبه، ولكن يحملك على هذا الحسد لابني، فقال: والله ما ذاك يحملني، ولكن ذا واخوته وأبناؤهم دونكم ـ وضرب بيده على ظهر أبي العبّاس، ثمّ ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن وقال: إنّها ـ والله ـ ما هي إليك ولا إلى ابنيك ولكنّها لهم، وإنّ ابنيك لمقتولان، ثمّ نهض وتوكّأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال: أرأيت صاحب الرداء الأصفر ـ يعني أبا جعفر ـ؟

قال: نعم. قال: فإنا ـ والله ـ نجده يقتله. قال له عبد العزيز: أيقتل محمّداً؟ قال: نعم. قال: فقلت في نفسي: حسده وربّ الكعبة. قال: ثمّ والله ما خرجت من الدنيا حتّى رأيته قتلهما. قال: فلما قال جعفر ذلك نفض القوم فافترقوا ولم يجتمعوا بعدها. وتبعه عبدالصمد وأبو جعفر فقالا: يا أبا عبد الله أتقول هذا؟ قال: نعم أقوله والله وأعلمه»[1].

(١) مقاتل الطالبيين ١٨٤ ـ ١٨٧ ملخصاً. وعنه الشيخ المفيد في الارشاد ومصادر أُخرى.

(٧)

الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

﴿وكان ابنه موسى الكاظم عليه السلام يدعىٰ العبد الصالح﴾

كما بتراجمه في كتب الفريقين، فراجع من كتب أهل السنة: صفة الصفوة ٢ / ١٢٤، مرآة الجنان ١ / ٣٩٤، تهذيب الكمال ٢٩ / ٤٤، تاريخ بغداد ١٣ / ٢٧، تهذيب التهذيب ١٠ / ٣٠٢، مطالب السئول ٧٦.

﴿كان أعبد أهل وقته، يقوم الليل ويصوم النهار، سمّي الكاظم لأنّه...﴾

قال ابن تيميّة: **«وأمّا من بعد جعفر، فموسى بن جعفر، قال فيه أبو حاتم الرازي: ثقة أمين صدوق من أئمة المسلمين. قلت: موسى ولد بالمدينة سنة بضع وعشرين ومائة، وأقدمه المهدي إلى بغداد، ثمّ ردّه إلى المدينة وأقام بها إلى أيام الرشيد، فقدم هارون منصرفاً من عمرته، فحمل موسى معه إلى بغداد وحبسه بها إلى أن توفّي في حبسه. قال**

ابن سعد: توفّي سنة ثلاث وثمانين ومائة. وليس له كثير رواية. روى عن أبيه جعفر. وروى عنه أخوه علي. وروى له الترمذي وابن ماجة» ٢ / ١٢٤.

أقول:

هذا كلامه، فلم ينكر إلى هنا شيئاً ممّا ذكره العلّامة واكتفى بنقل كلمة أبي حاتم... ولننقل كلمات أبي حاتم... وكلمات أُخرى، تشييداً لما ذكره العلّامة، ثمّ نشير إلى ما في كلام ابن تيميّة:

قال ابن حجر: **«عنه: أخواه علي ومحمّد، وأولاده: إبراهيم وحسين وإسماعيل وعلي الرضي وصالح بن يزيد ومحمّد بن صدقة العبري. قال أبو حاتم: ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين. قال يحيى بن الحسين بن جعفر النسّابة: كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده. وقال الخطيب: يقال انّه ولد بالمدينة في سنة ثمان وعشرين ومائة... ومناقبه كثيرة...»**(1).

وقال الخطيب: **«كان موسى يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده، روي أنّه دخل مسجد رسول الله ﷺ فسجد سجدةً في أول الليل، وسمع وهو يقول في سجوده: عظم الذنب من عندي فليحسن العفو من عندك، يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة. فجعل يردّدها حتى**

---

(1) تهذيب التهذيب ١٠ / ٣٠٢.

أصبح. وكان سخياً كريماً، وكان يسمع عن الرجل ما يؤذيه، فيبعث إليه بصرّة فيها ألف دينار»[١].

ونقل ابن خلّكان كلام الخطيب المذكور، ثمّ نقل عن المسعودي ما سنذكره.

وقال الذهبي: «موسى الكاظم، الإمام القدوة... ذكره أبو حاتم فقال: ثقة صدوق، إمام من أئمة المسلمين. قلت: له عند الترمذي وابن ماجة حديثان... له مشهد عظيم مشهور ببغداد، دفن معه فيه حفيده الجواد، ولولده علي بن موسى مشهد عظيم بطوس. وكانت وفاة موسى الكاظم في رجب سنة ١٨٣...»[٢].

وقال ابن الجوزي: «موسى بن جعفر، كان يدعى العبد الصالح، وكان حليماً كريماً، إذا بلغه عن رجل ما يؤذيه بعث إليه بمال»[٣].

وقال القرماني: «هو الإمام الكبير الأوحد الحجّة، الساهر ليله قائماً القاطع نهاره صائماً، المسمّى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً، وهو المعروف بباب الحوائج، لأنّه ما خاب المتوسّل به في قضاء

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ٢٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٧٠.

(٣) صفوة الصفوة ٢ / ١٠٣.

حاجته قط»[١].

وقال ابن حجر المكّي: «هو وارث أبيه علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً، سمّي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه، وأعلمهم وأسخاهم»[٢].

وقال ابن طلحة: «هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن الكبير، المجتهد الجادّ في الإجتهاد، المشهور بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدّقاً وصائماً، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه، دعي كاظماً كان يجازي المسيء بإحسانه إليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يسمّى بالعبد الصالح، ويعرف بالعراق بباب الحوائج إلى الله، لنجح مطالب المتوسّلين إلى الله تعالى به، كراماته تحار منها العقول وتقضي بأنّ له عند الله تعالى قدم صدق لا تزل ولا تزول»[٣].

هذه نتف من كلمات المخالفين، وأمّا مناقبه وفضائله في كتب

(١) أخبار الدول: ١١٢.

(٢) الصواعق المحرقة: ١١٢.

(٣) مطالب السئول: ٧٦.

الشيعة القائلين بإمامته فلا تعدّ ولا تحصى، تجدها مروية بالأسانيد المعتبرة في (الإرشاد) للشيخ المفيد، و(المناقب) لابن شهراشوب، و(إعلام الورى) للطبرسي، و(كشف الغمة) للاربلي، و(إثبات الهداة) للحرّ العاملي، و(بحار الأنوار) للمجلسي... كما أُلّفت في أحواله وفضائله كتب خاصّة.

ولد بالأبواء، قرية من قرى المدينة المنوّرة، وكانت سنة ولادته (١٢٨) وقيل (١٢٧) وقيل (١٢٩).

وتوفّي سنة ١٨٣ ـ وقيل غير ذلك ـ في سجن هارون، وكان قد كتب إليه من السجن: **«إنّه لن ينقضي عنّي يوم من البلاء حتّى ينقضي عنك يوم من الرخاء، حتّى نفنى جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء وهناك يخسر المبطلون»**(١) ولم تكن وفاته حتف أنفه، وإنّما توفّي مسموماً.

وأمّا قول الرّجل: **«وليس له كثير رواية، روى عن أبيه جعفر، وروى عنه أخوه علي. وروى له الترمذي وابن ماجة»**.

فأقول:

حسبه الرواية عن أبيه جعفر، فإنّ الصّيد كلّه في جوف الفرا. وأمّا الرواة عنه فلا يعدّون كثرةً؛ أمّا من أهل بيته، فأخوه علي بن جعفر

(١) تهذيب الكمال ٢٩ / ٥٠، البداية والنهاية ١٠ / ١٨٣، سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٧٣.

وأولاده، وأمّا من غيرهم، فقد ذكر ابن حجر بعضهم مع أخويه وأولاده، وقال الخزرجي: **«وعنه: ابنه علي الرضا وأخواه علي ومحمّد ابنا جعفر بن محمّد، وطائفة»**(١).

وأمّا أصحابنا، فقد ذكروا في الكتب الرّجالية أسامي كثيرين من تلامذته، والرّواة عنه، يعدّون بالمئات، وعن طريقهم امتلأت كتبهم الفقهيّة وغيرها بالأخبار في الأحكام الشرعيّة والمعارف الدينية والعلوم الاسلامية... وأمّا الرّجل فقد حاول التقليل من أهميّة الإمام الكاظم والحطّ من شأنه وشأن الرواة عنه، حتى أنّه لم يذكر رواية ولده الإمام علي بن موسى الرّضا عليه السلام وأخذه عنه.

وأمّا عدم رواية المؤلّفين في الحديث من أهل السنّة عنه ـ عدا الترمذي وابن ماجة ـ فذاك من سوء حظّهم وعدم توفيقهم، لانحرافهم عن أهل البيت والعترة الطاهرة.

(قال ابن الجوزي ـ من الحنابلة ـ عن شقيق البلخي قال: خرجت حاجّاً...)

أقــول: وابن الجوزي هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي الفقيه الحنبلي الحافظ الواعظ، قال ابن خلّكان: **«كان**

(١) خلاصة تهذيب الكمال: ٣٣٤.

علّامة عصره وامام وقته»[1] وقال الذهبي: **«الإمام العلاّمة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق»**[2] له مؤلّفات كثيرة، توفّي سنة: ٥٩٧. له ترجمة في الوافي بالوفيات ٢ / ٣٢١، تذكرة الحفّاظ ٤ / ١٣١، النجوم الزاهرة ٦ / ١٧٤ وغيرها.

رواه عن شقيق البلخي ـ قال أبو نعيم: **«شقيق بن إبراهيم البلخي، أحد الزهّاد في المشرق»**[3] وقال ابن حجر: **«مناقب شقيق كثيرة جداً»**[4] ـ في كتابه صفة الصفوة ٢ / ١٢٥ ورواه غيره أيضاً، أُنظر: أخبار الدول: ١١٢، جامع كرامات الأولياء ٢ / ٢٢٩، مطالب السئول: ٨٤، نور الأبصار: ١٣٥، وغيرها.

لكنّ ابن تيميّة الذي لا يطيق سماع منقبة من مناقب أئمة العترة، وإن كان راويها من غير الشيعة يقول:

«وأمّا الحكاية المشهورة عن شقيق البلخي فكذب» ثمّ يعلّل هذا التكذيب المنبعث من الحقد والعناد بقوله: **«فإنّ هذه الحكاية تخالف المعروف من حال موسى بن جعفر، وموسى كان مقيماً بالمدينة بعد**

---

(١) وفيات الأعيان ٤ / ٣٩٣.

(٢) تذكرة الحفاظ ٢ / ١٣٤٢.

(٣) حلية الأولياء ٨ / ٥٨.

(٤) لسان الميزان ٣ / ١٥٣.

موت أبيه جعفر، وجعفر مات سنة ثمان وأربعين، ولم يكن قد جاء إذ ذاك إلى العراق، حتى يكون بالقادسية...».

عجيب!! إنّه يتكلّم وكأنّه محيط بجميع أيام الإمام وحالاته، وعارف بزمانه ﷺ وخصوصياته... أكثر من غيره... إنّ هذه الحكاية رواها شيعته الذين هم أعرف الناس به وبما يتعلّق به، مضافاً إلى الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي الذي هو عراقي بغدادي، وله كتاب (المنتظم في تاريخ الأُمم) من الكتب التاريخيّة المعتمدة، ومضافاً إلى غيره من الأعلام.

لكنّه البغض والحقد والعناد، فلو كانت هذه القضيّة لزيد أو لعمرو ممّن يتولّاهم، الرّجل لتكلّم في اطرائها وتقريظ صاحبها صحائف عديدة....

هذه حال هذا الرجل في هذه الحكاية، وعلى هذه فقس ما سواها.

﴿وعلى يده تاب بشر الحافي، لأنّه عليه السلام اجتاز على داره في بغداد...﴾

أقول: قال الخطيب البغدادي بترجمة بشر: «**بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله، أبو نصر، المعروف**

بالحافي، مروزي سكن بغداد، وهو ابن عم علي بن خشرم، وكان ممّن فاق أهل عصره في الورع والزهد، وتفرّد بوفور العقل وأنواع الفضل، وحسن الطريقة واستقامة المذهب وعزوف النفس وإسقاط الفضول... وكان كثير الحديث...» وأطال بذكر مناقبه وفضائله جداً(١). وعنه ابن الجوزي وذكر أنّ له كتاباً في فضائله(٢).

هذا، وقد كذّب ابن تيميّة هذه الحكاية كسابقتها، وعلّل تكذيبه للعلّامة هذه المرّة بقوله المضحك المبكي: **«وأمّا قوله: تاب على يده بشر الحافي، فمن أكاذيب من لا يعرف حاله ولا حال بشر، فإنّ موسى بن جعفر لما قدم به الرشيد إلى العراق حبسه، فلم يكن ممّن يجتاز على دار بشر وأمثاله من العامّة».**

فإذا كان العلّامة لا يعرف حال الإمام فمن العارف؟ إنّه ليس لهذا الرّجل أن يدّعي المعرفة بأحوال أئمّة أهل البيت بقدر ما يعرفه أفراد العوامّ من شيعتهم... وأصدق شاهد على جهله بأحوالهم نفس هذا الكلام ـ إن سلّمنا صدوره عن الجهل لا العناد للأئمّة عليهم السلام ـ لأنّ الإمام عليه السلام قد أطلق سراحه من السجن بأمر من هارون وكان في بغداد

(١) تاريخ بغداد ٧ / ٦٧ ـ ٨٠.

(٢) المنتظم ١١ / ١٢٢ ـ ١٢٥.

مدّةً من الزمن، ثمّ عاد هارون فسجنه حتّى لحق بآبائه مسموماً، وهذا ممّا اتّفق عليه المؤرخّون، وفيه كرامة من كرامات الإمام ﷺ، فقد قال ابن خلّكان بترجمته: «قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي في كتاب مروج الذهب في أخبار هارون الرشيد:

إنّ عبد الله بن مالك الخزاعي كان على دار هارون الرشيد وشرطته، فقال: أتاني رسول الرشيد وقتاً ما جاءني فيه قط، فاستنزعني من موضعي، ومنعني من تغيير ثيابي، فراعني بذلك. فلمّا صرت إلى الدار سبقني الخادم فعرّف الرشيد خبري، فأذن لي في الدخول عليه، فوجدته قاعداً في فراشه، فسلّمت عليه، فسكت ساعة، فطار عقلي، وتضاعف الجزع عليَّ ثمّ قال: يا عبد الله أتدري لم طلبتك في هذا الوقت؟ قلت: لا والله يا أمير المؤمنين.

قال: إنّي رأيت الساعة في منامي كأنّ حبشيّاً قد أتاني ومعه حربة فقال: إن خلّيت عن موسى بن جعفر الساعة وإلّا نحرتك في هذه الساعة بهذه الحربة، فاذهب فخلّ عنه.

قال: فقلت: يا أمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر ـ ثلاثاً ـ؟

قال: نعم، إمض الساعة حتّى تطلق موسى بن جعفر، وأعطه ثلاثين ألف درهم وقل له: إن أحببت المقام قبلنا فلك عندي ما تحبّ،

وإن أحببت المضي إلى المدينة فالإذن في ذلك لك.

قال: فمضيت إلى الحبس... وخلّيت سبيله وقلت له: لقد رأيت من أمرك عجباً. قال: فإنّي أخبرك، بينما أنا نائم إذ أتاني رسول الله ﷺ فقال: يا موسى، حبست مظلوماً فقل هذه الكلمات، فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس. فقلت: بأبي وأمّي ما قال؟ قال: قل: يا سامع كلّ صوت ويا سابق كلّ فوت ويا كاسي العظام لحماً ومنشرها بعد الموت، أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطّلع عليه أحد من المخلوقين، يا حليماً ذا أناة لا يقوى على أناته، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يحصى عدداً، فرّج عنّي.

فكان ما ترى»[1].

ولقد كانت هذه الفترة فرصة لاستفادة المستفيدين منه، وهداية المسترشدين على يده، ومنهم بشر الحافي، الذي تاب حتّى عُدّ من خيرة الصّالحين، وإذ سمعت هذا فاحكم على هذا المعترض على العلّامة بما شئت.

(١) وفيات الأعيان ٤ / ٣٩٤.

(٨)

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

﴿وكان ولده علي بن موسى الرضا ﷺ أزهد أهل زمانه وأعلمهم﴾

قال ابن تيميّة: **«من المصائب التي ابتلي بها ولد الحسين انتساب الرّافضة إليهم وتعظيمهم ومدحهم لهم، فإنّهم يمدحونهم بما ليس بمدح، ويدّعون لهم دعاوي لاحجّة لها، ويذكرون من الكلام ما لو لم يعرف فضلهم من غير كلام الرافضة، لكان ما تذكره الرّافضة بالقدح أشبه منه بالمدح»**.

أقول:

من المصائب التي ابتلي بها رسول اللّه وبضعته وأهل بيته ﷺ، وجود النواصب لهم في كلّ زمان، ودعواهم الإسلام، وانتسابهم إلى العلم، واستناد آخرين مثلهم إلى كلامهم... هؤلاء الذين بلغ بهم العداء حدّاً يجعلون الوصف بالزهد والعلم ونحو ذلك مدحاً بما ليس بمدح، وأنّه أشبه بالقدح!!

قال: «**وأمّا قوله: إنّه كان أزهد الناس وأعلمهم، فدعوى مجرّدة بلا دليل**».

أقول:

نعم، لا دليل على ذلك عند هذا الرّجل وأمثاله!! لكن هناك في كلمات المحدّثين والمؤرّخين من غير شيعة أهل البيت عليهم السلام ما يدلّ على ما تذهب إليه الشيعة وتعتقد في أئمّتها، وإليك بعض تلك الكلمات:

قال الحافظ السّمهودي[1]: «علي الرضا ابن موسى الكاظم كان أوحد أهل زمانه، جليل القدر، أسلم على يده أبو محفوظ معروف الكرخي... وقال له المأمون: بأيّ وجه صار جدّك علي بن أبي طالب قسيم الجنّة والنار؟ فقال: ألم ترو عن أبيك عن آبائه عن عبد اللّه بن عباس قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: حبّ علي ايمان وبغضه كفر؟ قال: بلى. قال الرضا: فقسم الجنة والنار إذ كان على حبّه وبغضه. فقال المأمون: لا أبقاني اللّه بعدك يا أبا الحسن. أشهد أنّك وارث علم رسول اللّه صلى الله عليه وآله»[2].

(١) هو: علي بن عبد اللّه، المتوفّى سنة: ٩١١.

(٢) جواهر العقدين ق ٢ ج ٢ ص ٤٢٧.

وقال كمال الدين محمّد بن طلحة[١]: «**أبو الحسن علي بن موسى الكاظم ابن جعفر الصّادق.**

قد تقدم القول في أمير المؤمنين علي، وفي زين العابدين علي. وجاء هذا علي الرضا ثالثهما، ومن أمعن نظره وفكره وجده في الحقيقة وارثهما، فيحكم بكونه ثالث العليّين، نمى إيمانه وعلا شأنه، وارتفع مكانه واتّسع إمكانه وكثر أعوانه وظهر برهانه، حتى أحلّه الخليفة المأمون محلّ مهجته وأشركه في مملكته، وفوّض إليه أمر خلافته وعقد له على رؤوس الأشهاد عقد نكاح ابنته.

وكانت مناقبه عليّة وصفاته الشريفة سنيّةً، ومكارمه حاتميّة وشنشنته أخزمية، وأخلاقه عربيّة، ونفسه الشريفة هاشمية، وأرومته الكريمة نبوّية، فمهما عدّ من مزاياه كان أعظم منه، ومهما فصّل من مناقبه كان أعلى مرتبة عنه»[٢].

وقال الشبلنجي[٣]: «**قال إبراهيم بن العبّاس: ما رأيت الرضا سئل عن شيء إلّا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقت**

(١) هو المحدّث الفقيه الشّافعي المتوفى سنة: ٦٥٢.

(٢) مطالب السئول: ٨٤.

(٣) هو: الشيخ مؤمن بن حسن المتوفى بعد سنة: ١٣٠٨.

عصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال من كلّ شيء فيجيبه الجواب الشافي، وكان قليل النوم كثير الصوم، لا يفوته صوم ثلاثة أيام من كلّ شهر ويقول: ذلك صيام الدهر. وكان كثير المعروف والصّدقة، وأكثر ما يكون ذلك منه في الليالي المظلمة. وكان جلوسه في الصيف على حصير وفي الشتاء على مسح»[١].

وقال الجويني[٢]: «الإمام الثامن: مظهر خفيّات الأسرار ومبرز خبيّات الأمور الكوامن، منبع المكارم والميامن، ومنبع الأعالي الخضارم والأيامن، منيع الجناب رفيع القباب وسيع الرحاب هموم السحاب، غزير الألطاف، عزيز الأكتاف، أمير الأشراف، قرة عين آل ياسين وآل عبد مناف، السيد الطاهر المعصوم، والعارف بحقائق العلوم والواقف على غوامض السرّ المكتوم، والمخبر بما هو آت وعمّا غبر ومضى، المرضي عند الله سبحانه برضاه عنه في جميع الأحوال، ولذا لقب بالرضا، علي بن موسى...»[٣].

وقال ابن حجر المكي[٤]: «وكان أولاد موسى بن جعفر حين

(١) نور الأبصار: ٣١٢.

(٢) هو: الشيخ إبراهيم بن محمّد، من مشايخ الذهبي، توفي سنة: ٧٣٠.

(٣) فرائد السمطين ٢ / ١٨٧.

(٤) المتوفى سنة: ٩٧٢.

وفاته سبعة وثلاثين ذكراً وانثى، منهم علي الرضا، وهو أنبههم ذكراً وأجلّهم قدراً، ومن ثمّ أحلّه المأمون محلّ مهجته وأنكحه ابنته وأشركه في مملكته، وفوّض إليه أمر خلافته...»[1].

فهذه طائفة ممّا قيل في مدحه علماً وزهداً وجلالةً...

وأخذ عنه فقهاء الجمهور كثيراً

قال ابن تيميّة: **«ولم يأخذ عنه أحد من أهل العلم بالحديث شيئاً، ولا روي له حديث في الكتب الستّة، وإنّما يروي له أبو الصّلت الهروي وأمثاله نسخاً عن آبائه فيها من الأكاذيب ما قد نزّه الله عنه الصّادقين من غير أهل البيت فكيف بالصّادقين منهم»**.

أما قوله: **«إنه أخذ عنه فقهاء الجمهور كثيراً فهذا من أظهر الكذب... وما يذكره بعض الناس من أنّ معروفاً الكرخي كان خادماً له، وأنّه أسلم على يديه، أو أنّ الخرقة متّصلة منه إليه، فكلّه كذب باتّفاق من يعرف هذا الشأن»**.

أقول:

هنا أُمور:

الأوّل: في أخذ فقهاء الجمهور عن الإمام الرّضا عليه السلام، ويكفي في

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٢٢.

هذا المقام الكلمات التالية.

قال الواقدي: «سمع علي الحديث من أبيه وعمومته وغيرهم، وكان ثقةً، يفتي بمسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن نيف وعشرين سنة، وهو من الطبقة الثامنة من التابعين من أهل المدينة»(١).

وقال الحاكم النيسابوري: «علي بن موسى، أبو الحسن، ورد نيسابور سنة مائتين، وكان يفتي في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن نيف وعشرين سنة. روى عنه من أئمة الحديث: المعلى بن منصور الرازي، وآدم بن أبي أياس العسقلاني، ومحمّد بن أبي رافع القصري القشيري، ونصر بن علي الجهضمي، وغيرهم. واستشهد بـ«سناباد» من طوس في رمضان سنة ٢٠٣ وهو ابن تسع وأربعين سنة وستة أشهر»(٢).

وقال ابن الجوزي: «كان يفتي في مسجد رسول الله وهو ابن نيف وعشرين سنة»(٣).

وقال ابن كثير: «علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن

(١) تذكرة خواص الأُمّة: ٣٥١.

(٢) تهذيب التهذيب ٧ / ٣٣٨، فرائد السمطين ٢ / ١٩٩، عن تاريخ نيسابور.

(٣) المنتظم ١٠ / ١٢٠.

الحسين بن علي بن أبي طالب، القرشي الهاشمي العلوي، الملقّب بالرضا. كان المأمون قد همّ أن ينزل عن الخلافة فأبى عليه ذلك، فجعله وليّ العهد من بعده. كما قدمنا ذلك. توفّي في صفر من هذه السنة بطوس. وقد روى الحديث عن أبيه وغيره، وعنه جماعة منهم: المأمون، وأبو الصّلت الهروي، وأبو عثمان المازني النحوي...»[١].

وقال المزّي: «ق: علي بن موسى... روى عنه: أبو بكر أحمد بن الحباب بن حمزة الحميري النسّابة، وأيوب بن منصور النيسابوري، ودارم بن قبيصة بن نهشل الصنعاني، وأبو أحمد داود بن سليمان بن يوسف الغازي القزويني ـ له عنه نسخة ـ وسليمان بن جعفر، وعامر بن سليمان الطائي والد أحمد بن عامر أحد الضعفاء ـ له عنه نسخة كبيرة ـ وعبد الله بن علي العلوي، وأمير المؤمنين أبو العباس عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، وأبو الصّلت عبد السلام بن صالح الهروي (ق)، وعلي بن صدقة الشطّي الرقي، وعلي بن علي الخزاعي الدعبلي، وعلي بن مهدي بن صدقة بن هشام القاضي ـ له عنه نسخة ـ ومحمّد بن سهل بن عامر البجلي، وابنه أبو جعفر محمّد بن علي بن موسى، وأبو جعفر محمّد بن محمّد بن حيّان التّمار البصري، وموسى بن علي

(١) البداية والنهاية، حوادث ٢٠٣.

القرشي، وأبو عثمان المازني النحوي»[١].

وقال الذهبي: «وروى عنه فيما قيل: آدم بن أبي أياس ـ وهو أكبر منه ـ وأحمد بن حنبل، ومحمّد بن رافع، ونصر بن علي الجهضمي، وخالد بن أحمد الذهلي الأمير»[٢].

وقال الذهبي: «علي بن موسى الرضا. ق،د،ت ـ أحد الأعلام. هو الإمام أبو الحسن بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي، العلوي، الحسيني. روى عن أبيه وعبد اللّٰه بن أرطاة. وعنه: ابنه أبو جعفر محمّد، وأبو عثمان المازني، والمأمون، وعبد السلام بن صالح، ودارم بن قبيصة، وطائفة... وكان سيّد بني هاشم في زمانه وأجلّهم وأنبلهم. وكان المأمون يعظّمه ويخضع له ويتغالى فيه، حتّى أنّه جعله وليّ عهده من بعده، وكتب بذلك إلى الآفاق...»[٣].

وقال ابن حجر قال الحاكم: «سمعت أبا بكر محمّد بن المؤمّل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر ابن خزيمة

(١) تهذيب الكمال ٢١ / ١٤٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٩ / ٣٨٧.

(٣) تاريخ الإسلام: ٢٦٩ حوادث ٢٠١ ـ ٢١٠.

وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا ـ وهم إذ ذاك متوافرون ـ إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا بطوس، فرأيت من تعظيمه ـ يعني ابن خزيمة ـ لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرّعه عندها ما تحيّرنا»[1].

وجاء في غير واحدٍ من الكتب: «انّه لما دخل الإمام نيسابور راكباً خرج إليه علماء البلد، وبأيديهم المحابر والدوى، وتعلّقوا بلجام دابّته وحلّفوه أن يحدّثهم بحديث عن آبائه فقال: «حدّثني أبي موسى الكاظم عن أبيه... علي بن أبي طالب قال: حدّثني حبيبي وقرّة عيني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: حدّثني جبريل قال: سمعت ربّ العزّة يقول: لا إله إلّا الله حصني فمن قالها دخل حصني وأمن من عذابي» وفي رواية: «انه روى عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سألت رسول الله: ما الإيمان؟ قال: معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان». وعن أحمد: «ان قرأت هذا الإسناد على مجنون بريء من جنونه».

هذا، وقد كان على رأس العلماء الذين طلبوا من الإمام أن يحدّثهم: أبو زرعة الرازي، ومحمّد بن أسلم الطوسي، وياسين بن النضر، وأحمد بن حرب، ويحيى بن يحيى... وقد عدّ أهل المحابر والدوى

(١) تهذيب التهذيب ٧ / ٣٣٩.

الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً»(١).

أقول: فمن الكاذب إذن!!

الثاني: في رواية أرباب الكتب الستّة عنه:

وقد عرفت من الكلمات السابقة رواية ثلاثة منهم عن الإمام الرضا ﷺ، فإنّ «ق» رمز لابن ماجة القزويني، و«د» رمز لأبي داود السجستاني، و«ت» رمز للترمذي.

فقول الرجل: «ولا روي له حديث في الكتب الستّة»، كذب آخر.

هذا، ولا يخفى أنّه قد حقّق في محلّه أن ليس كلّ من روي له حديث في هذه الكتب بثقة، وليس كلّ من لم يروَ عنه فيها غير ثقة. أمّا أئمة أهل البيت ﷺ فهم أعلا وأجل وأشرف من أن توزن أحاديثهم الصحيحة الثابتة عنهم بهذه الموازين، بل السعيد من أخذ عنهم واتّبعهم والشقي من أعرض عنهم وخالفهم.

الثالث: في بيان حال أبي الصّلت الهروي.

لقد كان أبو الصّلت عبد السّلام بن صالح الهروي من أصحاب

---

(١) أخبار اصبهان ١ / ١٣٨، المنتظم في أخبار الأمم ١٠ / ١٢٠، الصواعق المحرقة: ١٢٢ عن تاريخ نيسابور. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢٥٣. جواهر العقدين.

الإمام الرضا والملازمين له، والرّواة لأحاديثه وأخباره، بل في (تهذيب الكمال): «وهو خادم عليّ بن موسى الرّضا»، وقد ذكروا بترجمته أنّه كان عالماً فقيهاً أديباً، يردّ على أهل الأهواء من المرجئة والجهميّة والزنادقة والقدرية ويناظرهم وفي كلّ ذلك كان الظفر له. وذكروا أيضاً: أنّه كان يقدّم أبا بكر وعمر ولا يذكر أصحاب النبي ﷺ إلّا بالجميل.

ولهذه الأمور وغيرها، فقد وثّقه غير واحد من الأئمة، وعلى رأسهم إمام الجرح والتعديل يحيى بن معين[1].

لكنّهم مع ذلك رموه بالتشيّع، لروايته عن الإمام الرضا وغيره بعض المناقب والفضائل لأمير المؤمنين عليه السلام، الدالّة على أفضليّته وإمامته بعد رسول الله ﷺ، كحديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها، ثمّ أفرط بعض المتعصّبين وجعل يتكلّم في الرجل ويقع فيه، حتى قال الجوزجاني ـ المعروف بالنصب[2] ـ: **«كان أبو الصّلت الهروي زائغاً عن الحق مائلاً عن القصد»** وقال ابن عدي: **«له أحاديث مناكير في فضل أهل البيت وهو متّهم فيها»** وقال الدارقطني: **«كان رافضيّاً خبيثاً»**[3].

---

(١) كذا وصفوه، انظر مثلاً: تقريب التهذيب ٢ / ٣٥٨.

(٢) انظر: لسان الميزان ١ / ١٦.

(٣) لاحظ الكلمات بترجمته من الكتب الرّجالية، كتهذيب الكمال ١٨ / ٧٣.

وكلّ ذلك ـكما توحي به كلماتهم ـلروايته فضائل أهل البيت . . . وإلّا فالرجل ثقة صدوق . . . وهذا ما نصّ عليه الحافظ ابن حجر حيث قال: «**صدوق، له مناكير، وكان يتشيّع، وأفرط العقيلي فقال: كذّاب**»[١].

الرابع: في إسلام معروف الكرخي على يد الإمام.

وكذّب ابن تيميّة خبر اسلام معروف على يد الإمام الرضا عليه السلام، كما كذّب من قبل خبر توبة بشر الحافي على يد الإمام موسى بن جعفر الكاظم... وقد جاء الخبر في أكثر من كتاب ومصدر، من ذلك قول ابن خلّكان: «**هو من موالي علي بن موسى الرضا وقد تقدم ذكره، وكان أبواه نصرانيين، فأسلماه إلى مؤدّبهم وهو صبي، وكان المؤدّب يقول له: قل ثالث ثلاثة، فيقول معروف: بل هو الواحد، فيضربه المعلم على ذلك ضرباً مبرّحاً، فهرب منه، وكان أبواه يقولان: ليته يرجع إلينا على أيّ دين شاء فنوافقه عليه. ثمّ انّه أسلم على يد علي بن موسى الرضا ورجع إلى أبويه، فدقّ الباب فقيل له: من بالباب؟ فقال: معروف. فقيل له: على أي دين؟ فقال: على الإسلام. فأسلم أبواه**»[٢].

أقول:

(١) تقريب التهذيب ١ / ٥٠٦.

(٢) وفيات الأعيان ٥ / ٢٣١.

لقد ذكروا بتراجمه كرامات عجيبة له، فحاولوا التكتّم على كونه من موالي الإمام وعلى إسلامه على يده ﷺ لئلّا يكون ذلك فضيلة له!!... فمنهم من لم يذكر كونه من مواليه ولا حكى إسلامه على يده، ولا روى عنه شيئاً ممّا سمعه من الإمام، كالحافظ أبي نعيم[١] والحافظ ابن الجوزي[٢]، ومنهم من اعترف بكونه من مواليه ولم يذكر عن إسلامه شيئاً كالشعراني[٣]، ومنهم من حكى قصّته مع المؤدّب ثمّ رجوعه إلى أبويه بعد هربه وأنّهما أسلما، ولم يزد على ذلك شيئاً كالذهبي[٤]... ومنهم من حكى أنّه كان حاجباً للإمام فكسروا ضلعه فمات[٥] وهذا ما كذّبه الذهبي فقال: «فلعلّ الرضا كان له حاجب اسمه معروف، فوافق اسمه اسم زاهد العراق»[٦].

أقول:

لكنّ مقامات أئمّة أهل البيت ﷺ لا تزيد ولا تنقص بإثبات شيء

---

(١) حلية الأولياء ٨ / ٣٦٠.

(٢) المنتظم ١٠ / ٨٨.

(٣) لواقح الأنوار ١ / ٧٢.

(٤) سير أعلام النبلاء ٩ / ٣٣٩.

(٥) طبقات الصّوفية: ٨٣.

(٦) سير أعلام النبلاء ٩ / ٣٤٣.

من هذا القبيل أو انكاره، بل الغرض المهم بيان مدى عناد ابن تيميّة وعدائه لأهل البيت الطاهرين.

﴿وولّاه المأمون، لعلمه بما هو عليه من الحال والكمال والفضل﴾

وهذا من الأُمور الثابتة والقضايا الضرورية في التاريخ، ولو أمكن ابن تيميّة إنكاره كذلك لفعل، ولكنّه سكت عنه ولم يتكلّم عليه بشيء، وقد جاء بعض ذلك في غير واحدٍ ممّا تقدّم من العبارات، وأُلّف في الموضوع العديد من المؤلّفات، فراجع.

﴿ووعظ أخاه زيداً فقال: يا زيد، ما أنت قائل لرسول الله...﴾

أقول: زيد هذا هو المعروف بزيد النار، كان يرى وجوب الخروج على السّلطة الحاكمة، فكان ممّن خرج مع أبي السّرايا ضد المأمون، وانّما قيل له «زيد النار» لإحراقه الدور وغيرها، ولمّا ظفر به المأمون عفا عنه وأرسله إلى الإمام الرضا عليه السلام. لكن الإمام حلف أن لا يكلّمه أبداً. راجع أخباره في: مقاتل الطالبيّين: وغيره[١]، وقد روى كلام الإمام مع أخيه هذا المناوي عن أهل السير[٢].

وأمّا الحديث المذكور فقد كذّبه ابن تيميّة، بل ادّعى الإتّفاق

(١) مقاتل الطالبيين: ٤٣٦.

(٢) فيض القدير ـ شرح الجامع الصغير ٢ / ٤٦٢.

على أنه كذب! وهذا نصُّ عبارته:

«والحديث الذي ذكره عن النبي صلّى الله عليه وسلّم عن فاطمة، وهو كذب باتّفاق أهل المعرفة بالحديث.

ويظهر كذبه لغير أهل الحديث أيضاً؛ فإنّ قوله: إن فاطمة أحصنت فرجها فحرّمها الله وذرّيتها على النار، باطل قطعاً؛ فإنّ سارة أحصنت فرجها ولم يحرم الله جميع ذرّيتها على النار. قال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحٰقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ... وأيضاً: فصفيّة عمّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أحصنت فرجها، ومن ذريتها محسن وظالم. وفي الجملة: اللواتي أحصنّ فروجهن لا يحصي عددهنّ إلّا الله عزّ وجلّ، ومن ذرّيتهن البر والفاجر والمؤمن والكافر.

وأيضاً: ففضيلة فاطمة ومزيّتها ليست بمجرّد احصان الفرج؛ فإن هذا تشارك فيه فاطمة وجمهور نساء المؤمنين، وفاطمة لم تكن سيّدة نساء العالمين بهذا الوصف بل بما هو أخصّ منه. بل هذا من جنس حجج الرافضة، فإنّهم لجهلهم لا يحسنون أن يحتجّوا ولا يحسنون أن يكذبوا.

وأيضاً: فليست ذريّة فاطمة كلّهم محرّمين على النار... فإنّ الرافضة رفضوا زيد بن علي بن الحسين ومن والاه وشهدوا عليه بالكفر

والفسق، بل الرافضة أشدّ الناس عداوة ـ إمّا بالجهل وإمّا بالعناد ـ لأولاد فاطمة رضي الله عنها»(١).

أقول:

كيف يكون هذا الحديث كذباً باتّفاق أهل المعرفة بالحديث وقد رواه: الحاكم، والخطيب البغدادي، وأبو بكر البزار، وأبو يعلى الموصلي، والطبراني، وأبو نعيم، وابن حجر، والسيوطي، والمتّقي الهندي... وغيرهم؟ وقال الحاكم: «صحيح»(٢)؟

وهذه فضيلة اختصّت بها سيدة نساء العالمين، وإن شاركتها في الوصف المذكور غيرها من فضليات النّساء. قال المناوي: «فحرّمها. أي بسبب ذلك الاحصان حرّمها الله وذرّيتها على النار. أي حرّم دخول النار عليهم. فأمّا هي وأبناؤها فالمراد في حقّهم التحريم المطلق. وأمّا من عداهم فالمحرّم عليهم نار الخلود، وأمّا الدخول فلا مانع من وقوعه للبعض للتطهير. هكذا فافهم. وقد ذكر أهل السّير أن زيد بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ـ رضي الله عنهم ـ خرج على المأمون...»(٣).

---

(١) منهاج السنّة ٢ / ١٢٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٥٢.

(٣) فيض القدير ـ شرح الجامع الصغير ٢ / ٤٦٢.

وقال الزرقاني بشرح (المواهب اللدنيّة): «وروي عن ابن مسعود ـ رفعه ـ: انّما سمّيت فاطمة بإلهام من الله لرسوله ـ إن كانت ولادتها قبل النبوة، وإن كانت بعدها فيحتمل بالوحي ـ لأنّ الله قد فطمها، من الفطم وهو المنع، ومنه فطم الصبي، وذرّيتها عن النار يوم القيامة. أي: منعهم منها، فأمّا هي وابناها فالمنع مطلق، وأمّا من عداهم فالممنوع عنهم نار الخلود، فلا يمتنع دخول بعضهم للتطهير. ففيه بشرى لآله صلّى الله عليه وسلّم بالموت على الإسلام، وأنّه لا يختم لأحد منهم بالكفر. نظيره ما قاله الشريف السمهودي في خبر الشفاعة لمن مات بالمدينة، مع أنّه يشفع لكلّ من مات مسلماً. أو: إنّ الله يشاء المغفرة لمن واقع الذنوب منهم إكراماً لفاطمة وأبيها صلّى الله عليه وسلّم. أو: يوفّقهم للتوبة النصوح ولو عند الموت ويقبلها منهم. أخرجه الحافظ الدمشقي. هو ابن عساكر.

وروى الغسّاني والخطيب ـ وقال: فيه مجاهيل ـ مرفوعاً: انّما سمّيت فاطمة لأنّ الله فطمها ومحبّيها عن النار. ففيه بشرى عميمة لكلّ مسلم أحبّها. وفيه التأويلات المذكورة.

وأمّا ما رواه أبونعيم والخطيب: أنّ علياً الرضا ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق سئل عن حديث: إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّمها الله وذرّيتها على النار. فقال: خاص بالحسن والحسين. وما نقله

الأخباريّون عنه من توبيخه لأخيه زيد حين خرج على المأمون... فهذا من باب التواضع والحثّ على الطّاعات وعدم الاغترار بالمناقب وإن كثرت... وإلّا فلفظ ذريّة لا يخصّ بمن خرج من بطنها في لسان العرب ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ الآية. وبينهم وبينه قرون كثيرة، فلا يريد بذلك مثل علي الرضا مع فصاحته ومعرفته لغة العرب، على أنّ التقييد بالطائع يبطل خصوصيّة ذريّتها ومحبّيها. إلّا أن يقال: لله تعذيب الطائع، فالخصوصيّة أن لا يعذّبه إكراماً لها، والله أعلم.

والحديث الذي سئل عنه أخرجه أبو يعلى والطبراني والحاكم وصحّحه عن ابن مسعود، وله شواهد، وترتيب التحريم على الإحصان من باب إظهار مزيّة شأنها في ذلك الوصف، مع الإلماح ببنت عمران، ولمدح وصف الإحصان، وإلّا فهي محرّمة على النار بنص الروايات أخر»[1].

وأمّا «أنّ الرافضة رفضوا زيد بن علي بن الحسين» ففرية شنيعة كرّرها الرجل في كتابه على الإماميّة... فإنّ الشيعة الإماميّة تعظّم زيداً وتحترمه وتروي عن النبي والأئمة المدح والثناء عليه، كالحديث الذي رواه رئيس محدّثيهم الشيخ الصدوق عن النبي صلّى الله عليه

(١) شرح المواهب اللدنيّة ٣ / ٢٠٣.

وآله وسلّم أنّه قال للحسين عليه السلام: **«يخرج من صلبك رجل يقال له زيد، يتخطّى هو وأصحابه رقاب الناس يدخلون الجنّة بغير حساب»**(١). وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: **«إنّ زيداً كان عالماً وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه وإنّما دعاكم إلى الرّضا من آل محمّد، ولو ظفر لو في بما دعاكم إليه»**(٢). وعن الرضا عليه السلام: **«كان من علماء آل محمّد، غضب لله فجاهد أعداءه حتّى قتل»**(٣).

وأمّا كلمات المدح والثناء والتعظيم من كبار علماء الطائفة فكثيرة جداً، قال المفيد: **«كان زيد بن علي بن الحسين عين أُخوته بعد أبي جعفر عليه السلام. وكان ورعاً عابداً فقيهاً سخيّاً شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات الحسين عليه السلام»** ثمّ روى بأسانيده أخباراً في فضله وقال: **«لما قتل بلغ ذلك أبا عبد الله عليه السلام كلّ مبلغ وحزن له حزناً شديداً عظيماً حتّى بان عليه، وفرّق من ماله على عيال من أصيب مع زيد من أصحابه ألف دينار»**(٤).

---

(١) عيون أخبار الرضا ١ / ٢٤٩.

(٢) رجال الكشي: ١٨٤.

(٣) عيون أخبار الرضا ١ / ٢٥٠.

(٤) الارشاد ٢ / ١٧١ ـ ١٧٣.

﴿وضرب المأمون اسمه على الدراهم والدنانير، وكتب إلى الآفاق ببيعته...﴾

قال ابن تيميّة: «وأمّا ما ذكره من تولية المأمون له الخلافة فهذا صحيح، لكن ذلك لم يتم... ولم يجعله وليّ عهده».

أقول:

جاء هذا في كافّة كتب التاريخ والسّير، وقد تقدّم النقل عن بعضها. وقال ابن الجوزي: «وفي هذه السنة جعل المأمون علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ولي عهد المسلمين والخليفة من بعده، وسمّاه الرضيّ من آل محمّد، وأمر جنده أن يطرح السواد ولبس ثياب الخضرة، وكتب بذلك إلى الآفاق، وذلك يوم الإثنين لليلتين خلتا من رمضان هذه السنة. فكتب الحسن بن سهل إلى عيسى بن محمّد يخبره أنّ أمير المؤمنين قد جعل علي بن موسى الرضا ولي عهده، وذلك أنّه نظر في بني العبّاس وبني علي فلم يجد أحداً أفضل ولا أورع ولا أعلم منه، وأنّه سمّاه الرضي من آل محمّد، وأمر أن يأمر من قبله من الجند والقوّاد وبني هاشم بالبيعة له...» ثمّ ذكر نصّ العهد الذي كتبه المأمون بخطّه للإمام عليه السلام، وما كتبه الإمام، والشهادات على ذلك[1].

---

(١) المنتظم ١٠ / ٩٣ ـ ٩٩.

وقد جاء الخبر كذلك قبله في تاريخ الطبري[١] وعنه في الكامل في التاريخ[٢]، وكذا هو في تاريخ ابن خلّكان قال: **«وجعله ولي عهده، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وكان السبب في ذلك... أنّه نظر في أولاد العبّاس وأولاد علي بن أبي طالب فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحق بالأمر من علي الرضا، فبايعه...»**[٣].

واختصر السيوطي الخبر فقال: **«وجعل ولي العهد من بعده علي الرضا ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق، حمله على ذلك إفراطه في التشيع، حتى قيل: أنّه همّ أن يخلع نفسه ويفوّض الأمر إليه، وهو الذي لقّبه الرضا، وضرب الدراهم باسمه، وزوّجه ابنته، وكتب إلى الآفاق بذلك، وأمر بترك السواد ولبس الخضرة»**[٤].

أقول:

فانظر كيف ينكر ابن تيميّة الحقائق التاريخية، واحكم عليه بما يوجبه الحق!!

﴿وقيل لأبي نؤاس: لم لا تمدح الرضا؟ فقال:...﴾

---

(١) تاريخ الطبري ٨ / ٥٥٤.

(٢) الكامل لابن الأثير ٦ / ٣٢٦.

(٣) وفيات الأعيان ٢ / ٤٣٢.

(٤) تاريخ الخلفاء: ٣٠٧.

قال ابن تيميّة: «**القوم جهال بحقيقة المناقب والمثالب والطرق التي يعلم بها ذلك، ولهذا يستشهدون بأبيات أبي نواس، وهي لو كانت صدقاً لم تصلح أن تثبت فضائل شخص بشهادة شاعر معروف بالكذب والفجور الزائد الذي لا يخفى على من له أدنى خبرة بأيّام الناس، فكيف والكلام الذي ذكره فاسد، فإنّه قال:**

قلت لا أستطيع مدح إمام   كان جبريل خادماً لأبيه

ومن المعلوم أنّ هذا وصف مشترك بين جميع من كان من ذريّة الرسل... فإنّ الناس كلّهم من ذريّة نوح ومن ذريّة آدم...».

أقول:

أوّلاً: هل جميع الذين يستند ابن تيميّة إلى أقوالهم من شعر وغير شعر في هذا الكتاب وغيره، وكذا غيره من علماء طائفته، عدولٌ مبرّءون من كلّ ذنبٍ وعيب؟! لماذا يتناسى الرجل استشهاده بكلام أبي سفيان الكافر، ويقول حذّاق المنافقين؟!

ثانياً: إنّ الإماميّة لا يثبتون مناقب أئمّتهم وفضائلهم بالإستناد إلى شعر هذا وذاك، بل هم في غنى عن ذلك، بالأدلّة القويمة من الكتاب الكريم والسنّة الصحيحة المتّفق عليها.

وثالثاً: إنّ المعاني التي يتضمّنها هذا الشعر وأمثاله إنّما هي أخبار

وآثـار واردة، وليست بـقضايا قد أنشأها الشاعر من عـند نـفسه، فالإستشهاد فـي الحـقيقة إنّـما هـو بـالحديث الذي تـضمّنه الشـعر، ولاسيّما إذا كان قائله من رواة الحديث أيضاً.

ورابعاً: إنّ هذا الشعر وغيره ممّا قاله أبو نؤاس في مدح الإمام الرضا عليه السلام مذكور بترجمة الإمام ولغرض المدح له، من قبل كبار العـلماء الأجـلّاء المـتقدّمين عـلى العـلّامة رحمه الله والمـعاصرين له والمتأخّرين عنه كما سنرى، فلولا صحّة الاستشهاد به عندهم ـ قولاً وقائلاً ـ لما كان ذلك منهم يقيناً.

وخامساً: إنّ السبب الحقيقي لكلام الرجل هذا ـ ومع الإلتفات إلى الوجوه التي ذكرناها ـ هـو: إنّ أبا نـؤاس مـن الشـعراء المـحبّين لأهل البيت عليهم السلام ، وأشعاره في الإمام الرضا وآبـائه تـدلّ عـلى مـدح عظيم لهم، وابن تيميّة يكره المحبّ لأهل البيت المـتجاهر بـالمدح لهم... وأمّا ما اشتهر عن أبي نؤاس من المجون والخلاعة، فقد ذكروا أنّه في الأغلب ممّا لا أصل له، على أنّ ذلك لو كان فقد كان في أوّل العمر، وقد ثبت عنه التوبة في آخره كما نصّ عليه ابن الجوزي.

ترجمة أبي نؤاس

وهذا موجز ترجمة أبي نؤاس: هو: الحسن بن هاني، ولد بالأهواز أو البصرة في سنة ١٣٦، أو ١٤٥ وتأدّب على أبي زيد وأبي عبيدة، وقرأ كتاب سيبويه ولزم خلف الأحمر، وصحب يونس بن حبيب الجرمي النحوي، وتلا القرآن على يعقوب، وروى الحديث عن: أزهر بن سعد، وحمّاد بن زيد، وحمّاد بن سلمة، وعبد الواحد بن زياد، ومعتمر بن سليمان، ويحيى القطّان، وحدّث عنه جماعة من الأئمة ومشاهير العلماء، منهم: الشافعي، وأحمد بن حنبل، وغندر. وكان يقال: الشافعي شاعر غلب عليه الفقه، وأبو نؤاس فقيه غلب عليه الشعر، وقد أثنى عليه غير واحد من كبار الأُدباء والمتكلّمين كالأصمعي والجاحظ والنظام، ونظمه في الذروة، ولابن منظور الإفريقي صاحب لسان العرب جزء في أخبار أبي نؤاس، وهو الثالث من مختار الأغاني المطبوع في دمشق، وقد صدّر بمقدّمة جيّدة بيّن فيها أنّ أغلب ما ينسب إلى أبي نؤاس من المجون والخلاعة كذب ملفّق لا تصح نسبته إليه، بحجج ناصعة وأدلّة واضحة، وممّا يشهد بذلك استماع كبار الأئمّة لأشعاره المختلفة.

وتوفي ببغداد سنة خمس أو ست أو ثمانية وتسعين ومائة.

هذه ترجمة أبي نؤاس بإيجاز، وهي تفيد في مجملها: أنّ الرّجل كان فقيهاً محدّثاً عالماً أديباً، وقد كانت تصدر منه أشياء ولكن لم يكن بحيث يهجره الأئمّة والفقهاء وأهل العلم والدين ويقاطعونه، ثمّ إنّه قد تاب من ذلك حتّى قال ابن الجوزي: «لا أوثر أن أذكر أفعاله المذمومة، لأني قد ذكرت عنه التوبة في آخر عمره، وإنّما كان لعبة في أوّل العمر»[١].

أشعار أبي نؤاس في مدح الإمام الرّضا

ثمّ إنّهم ذكروا بترجمة الإمام الرضا عليه السلام أشعاراً لأبي نؤاس:

منها: ما أورده العلّامة رحمه الله. **قال ابن الجوزي: فقال الصّولي: ومدحه أبو نؤاس فقال:**

قيل لي أنت واحد النّاس في كلّ ... كلام من المقال بديه

لك في جوهر الكلام بديع ... يثمر الدرّ في يدي مجتنيه

فعلى مَ تركتَ مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمّعن فيه

(١) تاريخ بغداد ٧ / ٤٣٦، المنتظم ١٠ / ١٦، وفيات الأعيان ١ / ٣٧٣، تاريخ ابن كثير ١٠ / ٢٢٧، سير أعلام النبلاء ٩ / ٢٧٩ ـ ولاحظ الهامش ـ الوافي بالوفيات ١٢ / ٢٨٣ وغيرها.

قلت: لا اهتدي لمدح امام … كان جبريل خادماً لأبيه[١]

وقال الذهبي: ولأبي نؤاس في علي رحمة الله عليه:

قيل لي أنت أحسن الناس طرّاً … في فنون من المقال النبيه

لك من جيّد القريض مديح … يثمر الدرّ في يدي مجتنيه

فعلى مَ تركت مدح ابن موسى … والخصال التي تجمّعن فيه

قلت: لا أستطيع مدح إمام … كان جبريل خادماً لأبيه[٢]

وقال الذهبي: «قال الصولي: حدّثنا أحمد بن يحيى أنّ الشعبي قال: أفخر بيت قيل قول الأنصار في بدر:

وببدر إذ يردُّ وجوههم … جبريل تحت لوائنا ومحمّد

ثمّ قال الصولي: افخر منه قول الحسن بن هاني في علي بن موسى الرضا:

قيل لي أنت واحد الناس في كلّ كلام...» إلى آخر الأبيات[٣].

وأوردها أيضاً الصفدي في الوافي[٤]، وابن طولون[٥].

---

(١) المنتظم ١٠ / ١٢٠.

(٢) تاريخ الإسلام، حوادث ٢٠١ - ٢١٠ / ٢٧١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٩ / ٣٨٨.

(٤) الوافي بالوفيات ٢٢ / ٢٤٩.

(٥) الأئمّة الاثنا عشر: ٩٩.

وقال ابن خلّكان[1] وكذا ابن طولون: **وكان سبب قوله هذه الأبيات أنّ بعض أصحاب قال له: ما رأيت أوقح منك: ما تركت خمراً ولا طرداً ولا معنى إلّا قلت فيه شيئاً، وهذا علي بن موسى الرضا في عصرك لم تقل فيه شيئاً. فقال: والله ما تركت ذلك إلّا إعظاماً له، وليس يقدر مثلي أن يقول في مثله، ثمّ أنشد بعد ساعة هذه الأبيات.**

ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري في تاريخ نيسابور، وعنه الحافظ الحمويني الجويني بإسناده قال:

«أنبأني الشيخ عبد الرحيم بن محمّد بن أحمد بن فارس بن الزجّاج، أنبأنا القاضي جمال الدين عبد الصمد بن محمّد بن أبي الفضل، أنبأنا محمّد بن الفضل أبو عبد الله وأبو القاسم زاهر بن طاهر إجازة قالا: أنبأنا الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين قال: أنبأنا الإمام الحاكم البيّع قال: حدّثني علي بن محمّد المذكّر قال: حدّثنا محمّد بن علي الفقيه قال: حدّثنا الحسين بن إبراهيم، قال: أنبأنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه قال: حدّثنا أبو الحسين محمّد بن يحيى الفارسي قال: نظر أبو نؤاس إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا ذات يوم ـ وقد خرج من عند الخليفة ـ على بغلةٍ له، فدنا منه أبو نؤاس وسلّم عليه وقال: يا ابن رسول الله،

---

(١) وفيات الأعيان ٢ / ٤٣٣.

قد قلت أبياتاً فأُحبّ أن تسمعها منّي. قال: هات. فأنشأ أبو نؤاس يقول:

مـــــطهّرون نـــقيّات ثـــيابهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

مـن لم يكـن علوياً حين تنسبه فماله فـي قـديم الدهـر مفتخر

واللّـــه لمـــا بـدا خـلقاً فـأتقنه صفاكم واصطفاكم أيّها البشـر

وأنـــتم المـــلأ الأعـلى وعـندكم علم الكتاب وما جاءت به السّور

فقال الرضا: قد جئت بأبيات ما سبقك إليها أحد. ثمّ قال: يا غلام هل معك من نفقتنا شيء؟ فقال: ثلاثمائة دينار. فقال: أعطها اياه. ثمّ قال: لعلّه استقلّها. يا غلام سق إليه البغلة»[١].

وقد ذكر هذا الشعر أيضاً في: ابن خلّكان[٢] وابن طولون[٣] قالا: وله ذكر في شذور العقود.

وقال الصفدي: «وفيه يقول أيضاً:

مطهّرون نقيّات جيوبهم ...» إلى آخرها[٤].

ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري ـ وعنه الحمويني الجويني ـ

---

(١) فرائد السمطين ٢ / ٢٠٠.

(٢) وفيات الأعيان ٢ / ٤٣٣.

(٣) الأئمّة الاثنا عشر: ٩٩.

(٤) الوافي بالوفيات ٢٢ / ٢٥٠.

باسناده عن الصولي عن المبرد قال:

«خرج أبو نؤاس ذات يوم من داره، فبصر براكبٍ قد حاذاه فسأل عنه ـ ولم يروجه ـ فقيل: انّه علي بن موسى الرضا، فأنشأ يقول:

إذا أبصرتك العين من بعد غاية وعارض فيك الشك أثبتك القلب

ولو أنّ قوماً أمّموك لقادهم نسيمك حتى يستدل به الركبُ»(١)

ثمّ قال الصولي: أفخر منه قول الحسن بن هاني في علي بن موسى الرضا:

قيل لي أنت واحد الناس في كلّ كلام...» إلى آخر الأبيات(٢).

وأوردها أيضاً الصفدي في الوافي، وابن طولون(٣).

---

(١) فرائد السمطين ٢ / ٢٠٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٩ / ٣٨٧٨.

(٣) الوافي بالوفيات ٢٢ / ٢٤٩. الأئمة الاثنا عشر: ٩٩.

(٩)

الإمام محمّد بن علي الجواد عليه السلام

(وكان ولده محمّد الجواد عليه السلام على منهاج أبيه في العلم والتقى والجود)

قال الحافظ سبط ابن الجوزي: **«فصل -في ذكر ولده محمد الجواد... وكان على منهاج أبيه في العلم والتقى والجود»**[1]. وقال الصّفدي: **«كان من سروات آل بيت النبوّة، زوّجه المأمون بابنته، وقدم على المعتصم فأكرمه وأجلّه، وكان من الموصوفين بالسخاء، ولذلك لقّب بالجواد، وهو أحد الأئمّة الاثني عشر»**[2]. **وقال الذهبي: «كان يلقّب بالجواد وبالقانع وبالمرتضى. وكان من سروات آل بيت النبي صلّى الله**

(١) تذكرة خواص الأُمّة: ٣٥٨، وسبط ابن الجوزي فقيهٌ حافظ مفسّر واعظ مؤرّخ، توجد ترجمته في: وفيات الأعيان ٢ /١٥٣، ١٤٢، المختصر في أخبار البشر، وتتمة المختصر، والعبر حوادث: ٦٥٤، طبقات المفسرين ٢ /٣٨٢ وغيرها.

(٢) الوافي بالوفيات ٤ / ١٠٠.

عليه وسلّم، وكان أحد الموصوفين بالسّخاء، ولذلك لقّب بالجواد»[١].

وكان عليه السلام يروي الحديث عن أبيه عن آبائه عن رسول الله ﷺ، وكان يُرجع إليه في معاني الأخبار وحقائق الأحكام، وقد روى الخطيب وغيره بترجمته عدّةً من ذلك[٢]، وحكى الشيخ محمود الشيخاني القادري أنّه قد وقع لبعض الخلفاء، أنّه لمّا مرض نذر على نفسه إن وهب الله له العافية أن يتصدّق بمال كثير، مبهماً، فعوفي، فأحضر الفقهاء واستفتاهم عن مقدار مال كثير، فكلٌّ قال شيئاً. فقال محمّد الجواد: **إن كنت نويت الدنانير فتصدّق بثمانين ديناراً، أو الدراهم بثمانين درهماً. فقال الفقهاء: ما نعرف هذا في الكتاب ولا السنّة. فقال محمّد الجواد: بلى قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ والنصر من أقسام العافية، فعدّوا وقائع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فإذا هي ثمانون»**[٣].

هذا، وأخباره وقضاياه الدالة على تفوّقه في العلم والتقى والجود كثيرة، إلّا أنّ القوم لا يذكرون ذلك في كتبهم لئلّا يعرف أئمّة أهل البيت عليهم السلام وتشتهر أحوالهم ومنازلهم... غير أنّهم يصرّحون: **«وله**

(١) تاريخ الإسلام، حوادث ٢٢٠، ص ٣٨٥.

(٢) تاريخ بغداد ٣ / ٥٤، الوافي بالوفيات ٤ / ١٠٦، الأئمة الاثنا عشر: ١٠٣.

(٣) الصراط السوي في مناقب آل بيت النبي ـ مخطوط.

حكايات وأخبار كثيرة»[1]. بل إنّ كثيراً منهم لم يعنونوه في تواريخهم أصلاً!!

﴿ولمّا مات أبوه الرضا عليه السلام شغف به المأمون لكثرة علمه ودينه...﴾

أقول: أمّا يحيى بن أكثم المروزي، قاضي القضاة، فقد ترجموا له ووصفوه بالإمامة في الفقه والحديث، وذكروا أنّه كان من أهل الشرب واللواطة وغير ذلك من القبائح. وأمّا في الحديث فعن يحيى بن معين: كان يكذب، وعن ابن راهويه: ذاك الدجّال، وعن ابن الجنيد: يسرق الحديث، وعن أبي حاتم: فيه نظر. وذكروا أنّه تولّى ديوان الصدقات على الأضرّاء ولم يعطهم شيئاً[2] فهذا قاضي قضاتهم حسب تصريحاتهم!!

وأمّا القضيّة المذكورة فهي من جملة القضايا الثابتة التي لم ينقلها القوم ـ كما هي عادتهم ـ غير أنّ سبط ابن الجوزي أشار إليها وأسندها إلى الإماميّة حيث قال: **«والإماميّة تروي خبراً طويلاً فيه أنّ المأمون لمّا زوّجه كان عمر محمّد الجواد سبع سنين وأشهر وأنّه هو الذي خطب**

---

(١) وفيات الأعيان ٣ / ٣١٥.

(٢) راجع: الجرح والتعديل ٩ / ١٢٩، سير أعلام النبلاء ١٢ / ٥، ميزان الاعتدال ٤ / ٣٦١ وغيرها.

خطبة النكاح، وأنّ العباسيّين شغبوا على المأمون ورشوا القاضي يحيى بن أكثم حتى وضع مسائل ليخطئ بها محمّد الجواد ويمتحنه، وإن الجواد خرج عن الجميع، وهو حديث طويل ذكره المفيد في كتاب الإرشاد، والله أعلم»[1].

وهنا قال ابن تيميّة: «وأمّا ما ذكره فإنّه من نمط ما قبله، فإنّ الرافضة ليس لهم عقل صريح ولا نقل صحيح، ولا يقيمون حقاً ولا يهدمون باطلاً، لا بحجّةٍ وبيان ولا بيد وسنان. فإنّه ليس فيما ذكره ما يثبت فضيلة محمّد بن علي فضلاً عن ثبوت إمامته، فإنّ هذه الحكاية التي حكاها عن يحيى بن أكثم من الأكاذيب التي لا يفرح بها إلّا الجهال، ويحيى بن أكثم كان أفقه وأعلم وأفضل من أن يطلب تعجيز شخص بأن يسأله عن محرم قتل صيداً، فإنّ صغار الفقهاء يعلمون حكم هذه المسألة، فليست من دقائق العلم ولا غرائبه، ولا ممّا يختص به المبرّزون في العلم. ثمّ مجرّد ما ذكره ليس إلّا في تقسيم أحوال القاتل، ليس فيه بيان حكم هذه الأقسام، ومجرّد التقسيم لا يقتضي العلم بأحكام الأقسام».

أقول:

(١) تذكرة الخواص: ٣٥٩.

ما أكثر المطالب التي كذّبها الرجل بصراحة وأثبتناها والحمد لله.

ودلالة هذه القضية على كونه عليه السلام أعلم وأفقه من قاضي قضاتهم واضحة لا ينكرها إلّا مكابر... والأعلميّة المطلقة تقتضي الإمامة المطلقة كما لا يخفى.

ثمّ إنّ العلّامة ﷺ قد اختصر الخبر، ولو راجع ابن تيميّة كتاب (الإرشاد) للمفيد البغدادي أو غيره من الكتب لوجد فيه بيان حكم الأقسام بطلب من المأمون، وأنّه سأل بعد ذلك ـ بطلب منه كذلك ـ يحيى بن أكثم عن مسألة، فاعترف يحيى بجهله بها وطلب من الإمام ﷺ بيانها... ونحن نحيل القارئ إلى كتاب (الإرشاد) لئلّا يطول بنا المقام(١).

(١) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ٢ / ٢٨١ ـ ٢٨٨.

(١٠)

الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

﴿وكان ولده الهادي عليه السلام ويقال له العسكري، لأنّ المتوكّل أشخصه...﴾

قال الخطيب البغدادي: «**أشخصه جعفر المتوكل على الله من مدينة رسول الله إلى بغداد، ثمّ إلى سرّ من رأى، فقدمها وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر**»[1].

وقال سبط ابن الجوزي: «**وإنّما نسب إلى العسكري، لأنّ جعفر المتوكّل أشخصه من المدينة إلى بغداد، إلى سرّ من رأى، فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر، ويلقب بالمتوكّل والتقي**»[2].

وقال ابن خلّكان: «**ولما كثرت السّعاية في حقّه عند المتوكل أحضره من المدينة. وكان مولده بها، وأقرّه بسرّ من رأى، وهي تدعى**

(١) تاريخ بغداد ١٢ / ٥٦.

(٢) تذكرة خواص الأمّة: ٣٥٩.

العسكر، لأنّ المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره فقيل لها العسكر، ولهذا قيل لأبي الحسن المذكور العسكري، لأنّه منسوب إليها، وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر»[1].

وقال ابن حجر المكي: **«سمّي العسكري، لأنّه أشخص من المدينة النبويّة إلى سرّ من رأى، وأسكن بها وكانت تسمّى العسكر، فعرف بالعسكري»**[2].

﴿وإنّما أشخصه المتوكّل من المدينة لأنّه كان يبغض علياً عليه السلام...﴾

أقول: بغض المتوكّل عليّاً عليه السلام مشهور لا ينازع فيه أحد، وهو الذي هدم قبر الحسين وما حوله من الدّور، وأمر أن يزرع ومنع الناس من إتيانه وزيارته[3]. فقال البسّامي أبياتاً منها:

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا   في قتله فتتبّعوه رميما

وقال الذهبي: **«وكان المتوكّل فيه نصب وانحراف»**[4].

---

(١) وفيات الأعيان ٢ / ٤٣٥.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٢٤.

(٣) الطبري ٩ / ١٨٥، ابن الأثير ٧ / ٥٥، ابن كثير ١٠ / ٣١٥، تاريخ الخلفاء: ٣٤٧، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٣٥ وغيرها.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٣٥.

وقال ابن الأثير -في حوادث ٢٣٦-: «في السنة أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين بن علي عليه السلام وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه، فنادى عامل صاحب الشرطة بالناس في تلك الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة أيام حبسناه في المطبق. فهرب الناس وتركوا زيارته، وحرث وزرع.

وكان المتوكّل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنّه يتولّى عليّاً وأهله بأخذ المال والدم، وكان من جملة ندمائه عبادة المخنّث، وكان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدّةً ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكّل والمغنّون يغنّون: قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين. يحكي بذلك علياً عليه السلام والمتوكّل يشرب ويضحك...»[1].

والعجب أنّه مع ذلك يصفه بعضهم قائلاً: «استخلف المتوكّل فأظهر السنّة وتكلّم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق يرفع المحنة وبسط السنّة ونصر أهلها»[2] ولعلّهم يريدون من «السنّة» القول بقدم القرآن، وقال السّيوطي بعد خبر: «استفدنا من هذا أنّ المتوكّل كان متمذهباً

(١) الكامل في التاريخ ٧ / ٥٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٣١ عن بعضهم.

بمذهب الشافعي، وهو أوّل من تمذهب من الخلفاء»[١] ثمّ الأعجب ما جاء فيه ـ بعد حكاية ما فعل بابن السكيت وقصته مشهورة: **«وكان المتوكّل رافضياً»**[٢] لكنّي لا أستبعد أن يكون التحريف من النّساخ أو الناشرين للكتاب.

هذا، وقد شهد كثير ممّن ذكر الإمام الهادي عليه السلام بفقهه وورعه وعبادته، قال اليافعي: **«كان الإمام علي الهادي متعبّداً فقيهاً إماماً»**[٣] وبمثله قال ابن العماد الحنبلي[٤] وقال ابن كثير: **«كان عابداً زاهداً»**[٥].

وذكر كثيرون منهم إشخاص المتوكّل إيّاه من المدينة المنورة إلى العراق، إلّا أنّهم ـ مع تصريحهم بنصب المتوكّل ـ يحاولون التغطية على قبائحه وستر مظالمه، فلا يذكرون تفصيل القضايا، ففي تاريخ اليعقوبي: «وكتب المتوكّل إلى علي بن محمّد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر ابن محمّد في الشخوص من المدينة، وكان عبد الله بن محمّد بن داود الهاشمي قد كتب يذكر أنّ قوماً يقولون إنّه

---

(١) تاريخ الخلفاء: ٣٥٢.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٣٤٩.

(٣) مرآة الجنان ٢ / ١٦٠.

(٤) شذرات الذهب ٢ / ١٢٨.

(٥) البداية والنهاية ١١ / ١٥.

الإمام، فشخص عن المدينة، وشخص يحيى بن هرثمة معه، حتّى صار إلى بغداد، فلمّا كان بموضع يقال له الباسريّة نزل هناك. وركب اسحاق بن إبراهيم لتلقيّه فرأى تشوّق الناس إليه واجتماعهم لرؤيته، فأقام إلى الليل، ودخل به الليل فأقام ببغداد بعض تلك الليلة، ثمّ نفذ إلى سرّ من رأى»[1]، وقد وجدت الخبر كما شرحه العلاّمة ﷺ ، في كتاب (تذكرة خواص الأُمّة) وصاحبه حنفي المذهب ومن المتقدّمين عليه، فإنّه قال: **«قال علماء السير: وانّما أشخصه المتوكّل من مدينة رسول الله إلى بغداد، لأنّ المتوكّل كان يبغض عليّاً وذريّته، فبلغه مقام علي بالمدينة وميل الناس إليه، فخاف منه، فدعى يحيى بن هرثمة وقال: إذهب إلى المدينة، وانظر في حاله وأشخصه إلينا. قال يحيى: فذهبت إلى المدينة، فلمّا دخلتها ضجّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله، خوفاً على علي، وقامت الدنيا على ساق، لأنّه كان محسناً إليهم ملازماً للمسجد، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا. قال يحيى: فجعلت أسكنّهم وأحلف لهم أنّي لم أؤمر فيه بمكروه وأنّه لا بأس عليه. ثمّ فتّشت منزله فلم أجد فيه إلّا مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم في عيني وتولّيت خدمته بنفسي وأحسنت عشرته.**

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٨٤.

فلمّا قدمت به بغداد بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهري ـ وكان والياً على بغداد ـ فقال لي: يا يحيى إنّ هذا الرجل قد ولّده رسول الله، والمتوكّل من تعلم، فإن حرّضته عليه قتله، وكان رسول الله خصمك يوم القيامة، فقلت له: والله ما وقفت منه إلّا على كلّ أمر جميل.

ثمّ صرت به إلى سرّ من رأى فبدأت بوصيف التركي، فأخبرته بوصوله، فقال: والله لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك. فعجبت كيف وافق قوله قول اسحاق. فلمّا دخلت على المتوكّل سألني عنه، فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقته وورعه وزهادته، وأنّي فتّشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم، وأنّ أهل المدينة خافوا عليه. فأكرمه المتوكّل وأحسن جائزته وأجزل برّه وأنزله معه سرّ من رأى»[1].

«ثمّ مرض المتوكّل فنذر إن عوفي تصدّق بدراهم كثيرة، فسأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم جواباً، فبعث إلى علي الهادي عليه السلام...»

قال الخطيب البغدادي الحافظ: «أخبرني الأزهري، حدّثنا أبو أحمد عبيد الله بن محمّد المقرئ، حدّثنا محمّد بن يحيى النديم،

(١) تذكرة خواص الأمّة ٣٥٩ ـ ٣٦٠.

حدّثنا الحسين بن يحيى قال: اعتلّ المتوكّل في أوّل خلافته فقال: لئن برئت لاتصدّقنّ بدنانير كثيرة، فلمّا برئ جمع الفقهاء فسألهم عن ذلك، فاختلفوا، فبعث إلى علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر فسأله. فقال: يتصدّق بثلاث وثمانين ديناراً. فعجب قوم من ذلك وتعصّب قوم عليه، وقالوا: تسأله ـ يا أمير المؤمنين ـ من أين له هذا؟ فردّ الرسول إليه فقال له: قل لأمير المؤمنين: في هذا الوفاء بالنذر، لأنّ الله تعالى قال ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾. فروى أهلنا جميعاً أنّ المواطن في الوقائع والسّرايا والغزوات كانت ثلاثة وثمانين موطناً، وأنّ يوم حنين كان الرابع والثمانين. وكلّما زاد أمير المؤمنين من فعل الخير كان أنفع له، وأُجر عليه في الدنيا والآخرة»(١).

ورواه الحافظ ابن الجوزي عن أبي منصور القزاز عن الخطيب بإسناده كذلك(٢).

ورواه الصفدي بترجمته عليه السلام كذلك(٣).

«قال المسعودي: نُمي إلى المتوكّل بعليّ بن محمّد عليه

(١) تاريخ بغداد ١٢ / ٥٦.

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٢ / ٧٤.

(٣) الوافي بالوفيات ٢٢ / ٧٣.

السلام... فبكى المتوكّل حتّى بلت دموعه لحيته﴾

هذا الخبر مذكور في كثير من الكتب: كمروج الذهب، وعنه الحافظ سبط ابن الجوزي في التذكرة، ووفيات الأعيان، وقد أرسله إرسال المسلّم. وكذلك هو في الوافي بالوفيات ٢٢ / ٧٢ والأئمّة الإثنا عشر لابن طولون ١٠٧، والبداية والنهاية لابن كثير ١٦ / ١٥، والمختصر في أخبار البشر ٤ / ٤٤، ورواه المتأخّرون كصاحب الإتحاف بحب الأشراف ٢٠٠ قال: قال بعض الثقات....

كلام ابن تيميّة في هذا المقام:

وبعد الوقوف على كلام العلّامة وشرحه، نتعرّض لما قاله ابن تيميّة، فإنّه بعد أن أورد كلام العلّامة ذكر ما يتلخّص في نقاط:

الأولى: الإعتراض على العلّامة في وصفه (إسحاق بن إبراهيم) بـ(الطائي)، مع أنّه (خزاعي).

الثانية: إنّ الفتيا المذكورة تحكى عن علي بن موسى الرضا مع المأمون، وهي إمّا كاذبة وإمّا جهل، لأنّ العدد المذكور فيها ليس مطابقاً للواقع.

الثالثة: الحكاية المذكورة عن تاريخ المسعودي كذب.

والجواب:

أمّا عن الأولى: فإنّه يبتني على وجود كلمة (الطّائي) في كتاب (منهاج الكرامة) لكن الكلمة في نسختنا (الظاهري) وفي تذكرة خواص الأمّة (الطاهري) وقد ذكر في هامش (منهاج السنّة) أنّ في بعض نسخ (منهاج الكرامة) هو الإسم «اسحاق بن إبراهيم» فقط، فلا هذا ولا ذاك ولا الطّائي... فما الحامل لأن يتشبّث هذا الرجل بتلك الكلمة إلّا العناد؟

وأمّا عن الثانية: فإنّ هذه الفتيا ـ سواء كانت من الإمام الهادي كما عرفت، أو الرضا كما يدّعي الرّجل، أو غيرهما من الأئمّة عليهم السلام كما تقدّم عن بعض الكتب ـ قد صدرت من «أهل البيت» الذين هم «أدرى بما في البيت» حكماً أو واقعةً، فيجب القبول والتسليم، كما حصل من فقهاء ذلك العصر، وحينئذ لا يسمع مكابرة فيه أو تشكيك من زيد أو عمرو!!

وقوله: **«فإنّ النبي لم يغز سبعاً وعشرين غزاة باتّفاق أهل العلم بالسّير»** كذب وباطل. قال الحافظ ابن سيّد الناس: **«ذكر الخبر عن عدد مغازي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبعوثه: روينا عن ابن سعد قال: أنا محمّد بن عمر بن واقد الأسلمي، لنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومي، وموسى بن محمّد بن**

إبراهيم بن الحارث التيمي، ومحمّد بن عبد الله بن مسلم ابن أخي الزهري، وموسى بن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود، وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة الزهري، ويحيى بن عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري، وربيعة بن عثمان بن عبد الله بن الهدير التيمي، وإسماعيل بن إبراهيم بن أبي حبيبة الأشهلي، وعبد الحميد بن جعفر الحكمي، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، ومحمّد بن صالح التمار.

قال ابن سعد: وأنا رويم بن يزيد المقرئ، ثنا هارون بن أبي عيسى، عن محمّد بن إسحاق.

قال: وأنا حسين بن محمّد، عن أبي معشر.

قال: وأنا إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس المدني، عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن عمّه موسى بن عقبة، دخل حديث بعضهم في بعض.

قالوا: كان عدد مغازي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التي غزا بنفسه سبعاً وعشرين»(١).

وقال الحلبي: «باب ذكر مغازيه صلّى الله عليه وسلّم. ذكر أنّ

(١) عيون الأثر في المغازي والسير ١ / ٢٢٣.

مغازيه، أي: وهي التي غزا فيها بنفسه كانت سبعاً وعشرين» ثمّ عدّدها[1].

وقال القسطلاني: **«فجمع سراياه وبعوثه نحو ستّين ومغازيه سبع وعشرون»**[2].

هذا، ولا يخفى أنّ الإمام عليه السلام قال بعد ذلك: **«وكلّما زاد أمير المؤمنين من فعل الخير كان أنفع له وآجر عليه في الدنيا والآخرة».**

وأمّا عن الثالثة فوجوه:

١ ـ هذا الخبر رواه غير المسعودي من العلماء والمؤرّخين، ممّن لا يتّهمهم هذا الرجل.

٢ ـ وفي (مروج الذهب) أكاذيب، كغيره من كتب التاريخ والحديث، حتى الموصوفة بالصحّة والمشهورة بالإعتماد، لكنّ هذا الخبر رواه غير المسعودي أيضاً، مضافاً إلى القرائن الدالّة على صحّته، وقد وجدت الأبيات في كتاب (عيون الأخبار) لابن قتيبة، المتوفى سنة ٢٧٦، أي قبل المسعودي بعشرات السنين، قال: «بلغني أنّه قرئ

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٣٤٢.

(٢) المواهب اللدنية ٣ / ١١٢.

على قبرٍ بالشام»(١).

٣ - وقد ترجم الأكابر المسعودي وأثنوا عليه:

ياقوت: «علي بن الحسين بن علي المسعودي المؤرّخ، أبو الحسن، من ولد عبد الله بن مسعود صاحب النبي... بغدادي الأصل... وله من الكتب: كتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر...»(٢).

الذهبي: «المسعودي، صاحب مروج الذهب وغيره من التواريخ... وكان أخبارياً صاحب ملح وغرائب وعجائب وفنون، وكان معتزلياً. أخذ عن أبي خليفة الجمحي ونفطويه وعدّة. مات في جمادى الآخرة سنة ٣٤٥»(٣).

وذكر في وفيات السنة المذكورة في (تذكرة الحفاظ) و(العبر) كذلك(٤).

الكتبي: «المسعودي صاحب التاريخ... وكان أخبارياً علّامةً

(١) عيون الأخبار ٤ / ٣٠٣ كتاب الزهد.
(٢) معجم الأدباء ١٣ / ٩٠.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٥ / ٥٦٩.
(٤) تذكرة الحفاظ ٣ / ٨٥٧، العبر ٢ / ٧١.

صاحب غرائب وملح ونوادر... مات سنة ٣٤٦»[1].

٤ ـ بل كان الرجل فقيهاً مفتياً، عداده في فقهاء الشافعيّة، فقد أورده السبكي في (طبقاته) قائلاً: «**علي بن الحسين بن علي المسعودي صاحب التواريخ: كتاب (مروج الذهب) في أخبار الدنيا. وكتاب... وكان أخبارياً مفتياً علّامةً صاحب ملح وغرائب، سمع من... وقيل: انّه كان معتزلي العقيدة مات سنة ٤٥ أو ٣٤٦. وهو الذي علّق عن أبي العبّاس ابن سريج (رسالة البيان عن أُصول الأحكام) وهذه الرسالة عندي نحو ١٥ ورقة، ذكر المسعودي في أوّلها أنّه حضر مجلس أبي العبّاس ببغداد، في علّته التي مات بها سنة ٣٠٦، وقد حضر المجلس لعيادة أبي العبّاس جماعة من حذّاق الشافعيين والمالكيين والكوفيين والداوديين وغيرهم من أصناف المخالفين، فبينما أبو العبّاس يكلّم رجلاً من المالكيين، إذ دخل عليه رجل معه كتاب مختوم، فدفعه إلى القاضي أبي العبّاس فقرأه على الجماعة، فإذا هو من جماعة الفقهاء المقيمين ببلاد الشاش يعلمونه أنّ الناس في ناحيتهم أرض الشاش وفرغانة مختلفون في أُصول فقهاء الأمصار ممّن لهم الكتب المصنّفة والفتيا، ويسألونه رسالةً يذكر فيها أُصول الشافعي ومالك وسفيان**

---

(١) فوات الوفيات ٣ / ١٢.

الثوري وأبي حنيفة وصاحبيه وداود بن علي الاصبهاني، وأن يكون ذلك بكلام واضح يفهمه العامي. فكتب القاضي هذه الرسالة، ثمّ أملى فيما ذكر المسعودي عليهم بعضها وعجز لضعفه عن إملاء الباقي، فقرئ عليه والمسعودي يسمع»[1].

٥ ـ فهذه ترجمة المسعودي... وذكر كتابه (مروج الذهب)... على لسان هؤلاء الأكابر، وأنت لا تجد فيها مطعناً فيه ولا في كتابه... بل انّه فقيه شافعي، غلب عليه التاريخ وذكر أخبار الناس....

ومع كلّ هذا... فقد أورده الحافظ ابن حجر في (لسان الميزان) لا لعيب فيه، وإنّما لاشتمال كتبه على فضائل لعلي وأهل البيت!! قال: **«وكتبه طافحة بأنّه كان شيعياً معتزلياً، حتى أنّه قال في حقّ ابن عمر أنّه امتنع من بيعة علي بن أبي طالب ثمّ بايع بعد ذلك يزيد بن معاوية والحجاج لعبد الملك بن مروان. وله من ذلك أشياء كثيرة.** ومن كلامه في حقّ علي ما نصّه: **الأشياء التي استحق بها الصحابة التفضيل: السبق إلى الإيمان، والهجرة مع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، والنصر له، والقرابة منه، وبذل النفس دونه، والعلم، والقناعة، والجهاد، والورع، والزهد، والقضاء، والفتيا. وانّ لعلي من ذلك الحظ الأوفر والنصيب**

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٤٥٦.

الأكبر، إلى ما ينضم إلى ذلك من خصائصه بآخرته، وبأنّه أحبّ الخلق، إلى غير ذلك»، انتهى[١].

أقول:

فلم يذكره بكذب ولا ضعف ولا تدليس... ونحو ذلك... بل غاية الأمر أن يكون من القائلين بتقدّم علي ﷺ على الصّحابة، وهذا قول كثير من الصحابة والتابعين وسائر المسلمين.

٦ ـ وبما ذكرنا ظهر الوجه والسّبب في تكلّم ابن تيميّة في كتاب (مروج الذهب)... فيظهر أنّ فيه وفي غيره من كتب المسعودي ما ليس على هوى هذا الرّجل... وقد عرفناه بالتسرّع في الطّعن في الشخص إذا أحسّ منه أقلّ ميلٍ إلى أهل البيت!!

---

(١) لسان الميزان ٤ / ٢٢٤.

(١١)

الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام

﴿وكان ولده الحسن العسكري عليه السلام عالماً فاضلاً زاهداً أفضل أهل زمانه. روت عنه العامّة كثيراً﴾

قال ابن تيميّة: «فهذه من نمط ما قبله من الدعاوي المجرّدة والأكاذيب البيّنة، فإنّ العلماء المعروفين بالرواية الذين كانوا في زمن الحسن بن علي العسكري ليس لهم عنه رواية مشهورة في كتب أهل العلم، وشيوخ أهل الكتب الستّة: البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة كانوا موجودين في ذلك الزمان وقريباً منه قبله وبعده. وقد جمع الحافظ أبو القاسم ابن عساكر أخبار شيوخ النبل ـ يعني شيوخ هؤلاء الأئمّة ـ فليس في هؤلاء الأئمّة من روى عن الحسن بن علي العسكري مع روايتهم عن أُلوف مؤلّفة من أهل الحديث، فكيف قال: «روت عنه العامّة كثيراً»؟ وأين هذه الروايات؟ وقوله: «إنّه كان أفضل أهل زمانه هو من هذا النمط».

أقول:

هو: مولانا الإمام الزكي الحسن ابن الإمام عليّ الهادي ابن الإمام محمّد الجواد ابن الإمام علي الرّضا... عليهم الصّلاة والسلام.

ولقّب بـ«العسكري» لكونه سكن «العسكر» مع والده، وكان الإمام من بعد والده الذي اغتاله المعتمد العبّاسي بالسّم.

وقد لاقى الإمام عليه السلام منذ نشأته في حكومة المتوكّل إلى آخر أيّامه ما لاقاه والده عليه السلام، من صنوف الظّلم وألوان الجور، بل كان زمانه أشدّ وأظلم، فقد كان المستعين مبغضاً لأهل البيت عليهم السلام، حتّى أنّه أودعه السجن مدّةً من الزمن، بعد أن كانت داره تحت الضغط والمراقبة الشّديدة، بل قيل إنّه كان عازماً على قتله، بأن أمر بعض خدّامه بحمل الامام عليه السلام إلى الكوفة واغتياله في الطريق كيلا يعلم أحد بواقع الأمر، لكنّ اللّه شاء أن يكون قتل المستعين على يد ذاك الخادم... ثمّ تولّى المعتز ابن المتوكّل، وقد ورث من آبائه العداء والنصب لعترة الرسول صلّى الله عليه وآله، فعاد وأودع الإمام عليه السلام السّجن، وما مضت إلّا برهة من الزمن حتّى قتل على يد الأتراك وخلص الإمام من السجن. ثمّ تسلّم المهتدي زمام الأمر وهو ـ كآبائه ـ على أشدّ البغض والنصب لآل النبي، فأمر باعتقال الإمام، وقصد قتله في السجن، لكنّ اللّه لم يمهله، إذ هجم عليه الأتراك بالخناجر وقتلوه وسفكوا دمه،

وأراح الله منه. فجاء المعتمد، وهو أيضاً على سيرة المتقدّمين عليه، فأمر باعتقال الإمام، حتى إذا اطمأنَّ من أن لا قصد للإمام بالقيام ضدّه أمر بإطلاق سراحه من السجن، لكنّه بقي في الدار تحت المراقبة الشديدة، إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى وجنّة المأوى سنة ٢٦٠ وله من العمر ثمان وعشرون سنة، ودفن إلى جنب والده في الدار، حيث المشهد العظيم الذي ينتابه المؤمنون إلى هذا اليوم.

وهكذا عاش الإمام العسكري هذا العمر القصير...

فالإنصاف، أنّ هذا القدر الذي وصل إلينا من أحاديث الإمام العسكري عليه السلام وأخباره مع قصر عمره الشريف، الذي قضاه في السجون، وتحت المراقبة، مع منع الناس من الدخول عليه ونشر حديثه، ومطاردة أصحابه وأقربائه، لكثير كثير...!!

وإنّ من الواضح أن لا يقصد أتباع أُولئك الطواغيت الإمام عليه السلام للأخذ منه والرّواية عنه، مع ما في ذلك من تعريض النّفس للخطر....

ثمّ جاء الذين ساروا على منهاج الملوك في العداء والنصب لأهل البيت ـ هؤلاء الذين لا تلتام جراحات ألسنتهم وأقلامهم ـ وجعلوا يتطاولون على شأن الإمام ومقامه العظيم، وينكرون كلّ شيء، حتّى هذا القدر المنقول الموجود في كتب الفريقين من أخباره وأحاديثه... الدالّ على علمه وجلالته وكونه أفضل أهل زمانه.

يريد النواصب ليطفئوا نور اللّه... قوم بالمحاربة والقتل والتعذيب، وقوم بعدم الرواية والنقل، وقوم بالإنكار والتكذيب... ويأبى اللّه الّا أن يتمّ نوره....

فالملوك لم يفسحوا المجال للامام ﷺ لأنّ يتّصل به العلماء والنّاس، ويستفيدوا من علومه ويستضيئوا بنوره، فقد كانت أيّامه قليلة ومضى أكثرها في السّجون... وعجيبٌ أمر هؤلاء... فإنّهم عندما يسئلون عن السّبب في قلّة الرواية عن كبار الصحابة ـ لاسيما الثلاثة ـ في تفسير القرآن وبيان الأحكام، قالوا: إنّ السّبب تقدم وفاتهم. قال السيوطي: **«أمّا الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزرة جداً، وكأنّ السبب في ذلك تقدّم وفاتهم، كما أنّ ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر للحديث، ولا أحفظ عن أبي بكر في التفسير إلّا آثاراً قليلةً لاتكاد تتجاوز العشرة، وأمّا علي فروي عنه الكثير...»**[1].

فهكذا يعتذرون لأوليائهم، وهو عذر باطل غير مقبول، أمّا بالنسبة إلى مثل الإمام العسكري فلا يعتذرون بما هو الثابت الحق، بل لسانهم يطول....

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٤ / ٢٣٢.

ويقول الرجل: إن أحداً من مشايخ الحديث البخاري وغيره لم يرو عن الإمام العسكري عليه السلام، إلّا أنّه لا يذكر السّبب في ذلك... وهو ما أشرنا إليه... فعدم روايتهم عنه كان لسوء حظّهم وعدم توفيقهم، ولا دلالة فيه على ضعف في الإمام عليه السلام ـ والعياذ بالله ـ بشيء من الدلالات... مع أنّهم يقولون بإمامة البخاري بل يجعلونه إمام أئمّتهم، والحال أنّ أئمّة عصره وفي بلده حرّموا السّماع منه والرواية عنه وأخرجوه من البلد وطردوه:

فقد حكى الذهبي عن الحاكم قال: **«سمعت محمّد بن يعقوب الحافظ يقول: لمّا استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم بن الحجّاج الإختلاف إليه، فلما وقع بين الذهلي وبين البخاري ما وقع في مسألة اللفظ ونادى عليه ومنع الناس عنه، انقطع عنه أكثر الناس غير مسلم، فقال الذهلي يوماً: ألا من قال باللفظ فلا يحلّ له يحضر مجلسنا، فأخذ مسلم ردائه فوق عمامته وقام على رؤوس الناس، وبعث إلى الذهلي ما كتب عنه على ظهر حمّال، وكان مسلم يظهر القول باللفظ ولا يكتمه.**

قال: وسمعت محمّد بن يوسف المؤذّن، سمعت أبا حامد ابن الشرقي يقول: حضرت مجلس محمّد بن يحيى فقال: ألا من قال لفظي بالقرآن مخلوق فلا يحضر مجلسنا، فقام مسلم بن الحجاج عن المجلس. رواها أحمد بن منصور الشيرازي عن محمّد بن يعقوب فزاد:

وتبعه أحمد بن سلمة.

قال أحمد بن منصور الشيرازي: سمعت محمّد بن يعقوب الأخرم: سمعت أصحابنا يقولون: لمّا قام مسلم وأحمد بن سلمة من مجلس الذهلي قال: لا يساكنني هذا الرجل في البلد، فخشي البخاري وسافر»[1].

ثمّ إنّ العلامة ﷺ من كبار العلماء في معرفة الرجال وأصحاب الأئمّة، وله في ذلك كتب، وقوله: «**روت عنه العامّة كثيراً**» ليس جزافاً، وقد ذكر أسماء جماعةٍ كبيرة من أصحاب الإمام العسكري في كتابه (الخلاصة في علم الرجال) وكثيرون منهم من العامّة.

وبعد، فهذه أخبار وروايات وأقوال في كتب غير الشيعة تؤكّد قول العلّامة: «**كان عالماً فاضلاً زاهداً أفضل أهل زمانه، روت عنه العامة كثيراً**»:

قال الحافظ أبو نعيم: «**أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني القاضي أبو الحسن علي بن محمّد بن علي بن محمّد القزويني ببغداد، قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني محمّد بن أحمد بن عبد الله بن قضاعة قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني القاسم بن العلاء الهمداني، قال: أشهد**

(١) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٥٦.

بالله وأشهد لله، لقد حدّثني الحسن بن علي بن محمّد بن الرضا، قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي علي بن محمّد، أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي محمّد بن علي قال: أشهد بالله وأشهد لله لقد حدّثني أبي علي بن موسى قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي موسى بن جعفر قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي جعفر ابن محمّد قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي محمّد بن علي قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي علي بن الحسين قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي الحسين بن علي قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد قال لي جبريل عليه السلام يا محمّد، ان مدمن الخمر كعابد الأوثان.

هذا حديث صحيح ثابت، روته العترة الطيبة، ولم نكتبه على هذا الشرط بالشهادة بالله ولله إلّا عن هذا الشيخ»[١].

وقال الحافظ سبط ابن الجوزي: «وكان عالماً ثقةً. روى الحديث عن أبيه عن جدّه. ومن جملة مسانيده حديثٌ في الخمر عزيز، ذكره

---

(١) حلية الأولياء ٣ / ٢٠٣.

جدّي أبو الفرج في كتابه المسمّى بـ(تحريم الخمر) ونقلته من خطّه وسمعته يقول:

أشهد بالله لقد سمعت أبا عبد الله الحسين بن علي يقول: أشهد بالله، لقد سمعت عبد الله بن عطا الهروي يقول أشهد بالله لقد سمعت عبد الرحمن بن أبي عبيد البيهقي يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبا عبد الله الحسين بن محمّد الدينوري يقول: أشهد بالله، لقد سمعت محمّد بن علي بن الحسين العلوي يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أحمد بن عبيد الله السبيعي [الشيعي] يقول: أشهد بالله، لقد سمعت الحسن بن علي العسكري يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي علي بن محمّد يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي محمّد بن علي بن موسى الرضا يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي علي بن موسى يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي موسى يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي جعفر بن محمّد يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي محمّد بن علي يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي علي بن الحسين يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي الحسين بن علي يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي الحسين بن علي يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي علي بن أبي طالب يقول: أشهد بالله، لقد سمعت جبرائيل يقول: أشهد بالله لقد سمعت ميكائيل يقول: أشهد بالله، لقد سمعت إسرافيل يقول: أشهد بالله على اللّوح المحفوظ أنّه قال: سمعت الله

يقول: شارب الخمر كعابد وثن.

ولما روى جدّي هذا الحديث في كتاب (تحريم الخمر) قال، قال أبو نعيم الفضل بن دكين: هذا حديث صحيح ثابت، روته العترة الطيبة الطاهرة، ورواه جماعة عن رسول الله...»(١).

وقال الحافظ ابن حجر: **«ذ ـ أحمد بن عبد الله الشيعي ـ حدّث عن الحسن بن علي العسكري. ثمّ ذكر بسند له مسلسل بـ«أشهد بالله» إلى أن وصل إلى محمّد بن علي بن الحسين بن علي قال: أشهد بالله، لقد حدّثني أحمد بن عبد الله الشيعي البغدادي قال: أشهد بالله، لقد حدّثني الحسن بن علي العسكري قال: أشهد بالله، لقد حدّثني أبي علي بن محمّد، أشهد بالله، لقد حدّثني أبي محمّد بن علي بن موسى الرضا. فذكره مسلسلاً بآباء علي بن موسى إلى علي قال: أشهد بالله...»**(٢).

وقال الحافظ عبد العزيز الجنابذي عن رجاله، عن الحافظ البلاذري: **«حدّثنا الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى إمام عصره عند الإمامية، بمكة، قال: حدّثني أبي علي بن محمّد المفتي، قال:**

---

(١) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ـ مخطوط، تذكرة خواص الأمّة: ٣٦٢.

(٢) لسان الميزان ١ / ٢٠٩. ولا يخفى أنّ «ذ» رمز لذيل ميزان الاعتدال للشيخ حافظ الوقت أبي الفضل ابن الحسين، كما صرح ابن حجر في لسان الميزان ١ / ٤. فيكون الراوي الأوّل للمسلسل هو هذا الحافظ.

حدّثني أبي محمّد بن علي السيد المحجوب، قال حدّثني أبي علي بن موسى الرضا قال: حدّثني أبي موسى ابن جعفر المرتضى، قال: حدّثني أبي جعفر بن محمّد الصادق، قال: حدّثني أبي محمّد بن علي بن الباقر قال: حدّثني أبي علي بن الحسين السجاد زين العابدين قال: حدّثني أبي الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة قال: حدّثني أبي علي بن أبي طالب سيد الأوصياء قال: حدّثني محمّد بن عبد الله سيّد الأنبياء قال: حدّثني جبرئيل سيد الملائكة قال قال الله عزّ وجلّ سيد السادات: إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا، فمن أقرّ لي بالتوحيد دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي»[1].

وروى غير واحدٍ أنّه وقع في سرّ من رأى في زمن المعتمد قحط شديد والإمام في السجن، فأمر المعتمد بخروج الناس إلى الإستسقاء، فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون فلم يسقوا، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء وخرج معه النصارى والرهبان، وكان فيهم راهب

---

(١) معالم العترة النبويّة للحافظ عبد العزيز بن محمود المعروف بابن الأخضر الجنابذي المتوفّى سنة: ٦١١ وصفه الذهبي بالإمام العالم المحدّث الحافظ المعمر مفيد العراق، كان ثقة فهماً خيّراً ديّناً عفيفاً، وكذا عن غيره. سير أعلام النبلاء ٢٢ / ٣١. نقله عنه: العلّامة الوزير علي بن عيسى الاربلي المتوفّى سنة ٦٩٣ والمترجم له في الشذرات والوافي بالوفيات وغيرهما، في كتاب: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة ٢ / ٤٠٣.

كلّما مدّ يده إلى السماء هطلت بالمطر، ثمّ خرجوا في الثاني وفعلوا كفعلهم أوّل يوم، فهطلت السماء بالمطر. فعجب الناس من ذلك، وداخل بعضهم الشك، وصبا بعضهم إلى دين النصرانية، فشقّ ذلك على المعتمد، فأنفذ صالح بن يوسف أن أخرج أبا محمّد الحسن من الحبس وائتني به. فلما حضر أبو محمّد الحسن عند المعتمد قال له: أدرك أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم فيما لحقهم من هذه النازلة العظيمة، فقال أبو محمّد: مرهم يخرجون غداً اليوم الثالث، فقال له: قد استغنىٰ الناس عن المطر واستكفوا فما فائدة خروجهم؟ قال: لأُزيل الشك عن الناس وما وقعوا فيه. فأمر الخليفة الجاثليق والرهبان أن يخرجوا أيضاً في اليوم الثالث على جاري عادتهم وأن يخرج الناس. فخرج النصارى وخرج معهم أبو محمّد الحسن ومعه خلق من المسلمين، فوقف النصارى على جاري عادتهم يستسقون، وخرج راهب معهم ومدّ يده إلى السماء ورفعت النصارى والرهبان أيديهم أيضاً كعادتهم، فغمّيت السماء في الوقت ونزل المطر. فأمر أبو محمّد الحسن بالقبض على يد الراهب وأخذ ما فيها، فإذا بين أصابعه عظم آدمي. فأخذه أبو محمّد الحسن ولفّه في خرقة وقال لهم: استسقوا. فانقشع الغيم وطلعت الشمس، فتعجّب الناس من ذلك.

وقال الخليفة: ما هذا يا أبا محمّد؟ فقال: هذا عظم نبي من

الأنبياء، ظفر به هؤلاء من قبور الأنبياء، وما كشف عن عظم نبي من الأنبياء ظفر به هؤلاء من قبور الأنبياء، وما كشف عن عظم نبي من الأنبياء تحت السماء إلّا هطلت بالمطر. فاستحسنوا ذلك وامتحنوه فوجدوه كما قال.

فرجع أبو محمّد إلى داره بسرّ من رأى، وقد أزال عن الناس هذه الشبهة، وسرّ الخليفة والمسلمون بذلك.

وكلّم أبو محمّد الحسن الخليفة في إخراج أصحابه الذين كانوا معه في السجن، فأخرجهم وأطلقهم من أجله»[1].

وقال الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي عن بهلول قال: **«بينما أنا ذات يوم في بعض شوارع المدينة وإذا بالصبيان يلعبون بالجوز واللوز، وإذا بصبي ينظر إليهم ويبكي. فقلت: هذا صبي يتحسّر على ما في أيدي الصبيان ولا شيء معه. فقلت: أي بني ما يبكيك؟ اشتر لك ما تلعب به؟ فرفع بصره إليّ وقال: يا قليل العقل، ما للّعب خلقنا. قلت: فلم إذاً خلقنا؟ قال: للعلم والعبادة. قلت: من أين لك ذاك بارك الله فيك؟ قال من قول الله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾. فقلت: يا بني، أراك حكيماً، فعظني وأوجز. فأنشأ يقول:**

(١) الفصول المهمة: ٢٨٦، ونور الأبصار: ٣٣٩، الصواعق: ١٢٤، أخبار الدول: ١١٧.

أرى الدنـــيا تـــجهّز بـــانطلاق مشـمّرةً على قدم وساق (الأبيات)

ثمّ رمق إلى السماء بعينيه وأشار بكفّيه ودموعه تنحدر على خدّيه وأشار بقوله... فلما أتمّ كلامه خرّ مغشيّاً عليه، فرفعت رأسه إلى حجري ونفضت التراب عن وجهه، فلما أفاق... فقلت له: أي بني أراك حكيماً فعظني، فأنشأ يقول:

غفلت وحادي الموت في أثرى يحدو

وإن لم أرح يوماً فلا بدّ أن أغدو(الأبيات)

قال بهلول: فلما فرغ من كلامه وقعت مغشيّاً علي وانصرف الصبي. فلما أفقت ونظرت إلى الصبيان فلم أره معهم فقلت لهم: من يكون ذلك الغلام؟ قالوا: وما عرفته؟ قلت: لا قالوا: ذاك من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب. قال: فقلت: قد عجبت من أمره، وما تكون هذه الثمرة إلّا من تلك الشجرة»[1].

---

(١) روض الرياحين في حكايات الصالحين، جمع فيه خمسمائة حكاية. كشف الظنون ١ /٩١٨، وهو للشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني الشافعي المتوفي سنة: ٧٦٨ صاحب مرآة الجنان وغيره من الكتب، توجد ترجمته في الدرر الكامنة ٢ /٢٤٧، طبقات السبكي ٦ /١٠٣، البدر الطالع ١ /٣٧٨ وغيرها. وقد نقلنا القصة باختصار في الأشعار وغيرها، وهي مذكورة بترجمة الإمام الحسن العسكري من: جواهر العقدين ☜

وقال الحافظ سبط ابن الجوزي: «**روى الحسن النصيبي قال: خطر في قلبي عرق الجنب هل هو طاهر؟ فأتيت إلى باب أبي محمّد الحسن لأسأله وكان ليلاً، فنمت، فلما طلع الفجر خرج من داره فرآني نائماً فأيقظني وقال: إن كان حلالاً فنعم، وإن كان من حرام فلا**»(١).

وروى ابن الصبّاغ المالكي بسنده عن عيسى بن الفتح قال: «**لمّا دخل علينا أبو محمّد السجن قال لي: يا عيسى لك من العمر خمس وستّون سنة وشهر ويومان، قال: وكان معي كتاب فيه تاريخ ولادتي، فنظرت فيه، فكان كما قال. ثمّ قال لي: هل رزقت ولداً؟ فقلت: لا قال: اللهم ارزقه ولداً يكون له عضداً فنعم العضد الولد. ثمّ أنشد:**

من كان ذا عضد يدرك ظلامته إنّ الذليل الذي ليست له عضد

فقلت له: يا سيدي، وأنت لك ولد؟ فقال: والله سيكون لي ولد

ـ ق ٢ ج ٢ / ٤٣١، الصواعق المحرقة: ١٢٤، وسيلة المآل ـ مخطوط، نور الأبصار: ٣٣٨ عن درر الأصداف، جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام: ١٥٥، دائرة المعارف للبستاني ٧ / ٤٥.

(١) مرآة الزمان ٦ / الورقة ١٩٢. و«الحسن النصيبي» ترجم له ابن حجر قال: من ذرية إسحاق بن جعفر الصادق، ذكره أبو المفضل الشيباني في وجوه الشيعة وقال: سمعت عليه حديثاً كثيراً، وله تصنيف في طرق حديث الغدير، وروى عن محمّد بن علي بن حمزة وغيره» انتهى كلامه في كتاب لسان الميزان ٢ / ١٩١.

يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وأمّا الآن فلا. ثمّ أنشد متمثّلاً:

لعلك يوماً أن تراني كأنّما بني حوالي الأُسود اللوابد
فإنّ تميماً قبل أن يلد الحصى أقام زماناً وهو في الناس واحد»[١]

وروى ابن الصبّاغ المالكي عن إسماعيل بن محمّد بن علي بن إسماعيل بن علي بن عبد اللّٰه بن العباس قال: **«قعدت لأبي محمّد الحسن على باب داره حتى خرج، فقمت في وجهه وشكوت إليه الحاجة والضرورة، وأقسمت أنّي لا أملك الدرهم فما فوقه، فقال: تقسم وقد دفنت مائتي دينارا وليس قولي هذا دفعاً لك عن العطيّة، أعطه يا غلام ما معك. فأعطاني مائة دينار، شكرت له تعالى وولّيت فقال: ما أخوفني أن تفقد المائتي دينار أحوج ما تكون إليها.**

فذهبت إليها فافتقدتها فإذا هي في مكانها، فنقلتها إلى موضع آخر ودفنتها من حيث لا يطّلع أحد، ثمّ قعدت مدّة طويلة، فاضطررت إليها، فجئت أطلبها في مكانها فلم أجدها، فجئت وشقّ ذلك عليّ، فوجدت إبناً لي قد عرف مكانها وأخذها وأبعدها. ولم يحصل لي شيء. فكان كما قال»[٢].

(١) الفصول المهمة في معرفة الأئمّة: ٢٨٨.

(٢) الفصول المهمة في معرفة الأئمّة: ٢٨٦ وإسماعيل ذكره الشيخ الطوسي في أصحاب الامام العسكري.

وروى ابن الصّباغ المالكي عن محمّد بن حمزة الدوري قال: «كتبت على يدي أبي هاشم داود بن القاسم ـ كان لي مؤاخياً ـ إلى أبي محمّد الحسن أسأله أن يدعو اللّه لي بالغنى، وكنت قد بلغت وقلّت ذات يدي وخفت الفضيحة. فخرج الجواب على يده: أبشر، فقد أتاك الغنى عن اللّه تعالى، مات ابن عمّك يحيى بن حمزة وخلّف مائة ألف درهم ولم يترك وارثاً سواك وهي واردة عليك. عليك بالاقتصاد وإيّاك والإسراف. فورد عليّ المال والخبر بموت ابن عمي كما قال عن أيام قلائل وزال عني الفقر...»[1].

وقال ابن الصبّاغ: «مناقب سيّدنا أبي محمّد الحسن العسكري دالّة على أنّه السري ابن السري، فلا يشك في إمامته أحد ولا يمتري، واعلم أنّه لو بيعت مكرمة فسواه بايعها وهو المشتري، واحد زمانه من غير مدافع ونسيج وحده من غير منازع، وسيّد أهل عصره وإمام أهل دهره، أقواله سديدة وأفعاله حميدة، وإذا كانت أفاضل زمانه قصيدة فهو في بيت القصيدة، وإن انتظموا عقداً كان مكان الواسطة الفريدة، فارس العلوم الذي لا يجارى، ومبيّن غوامضها فلا يحاول ولا يمارى، كاشف الحقائق بنظره الصائب، مظهر الدقائق بفكره الثاقب، المحدّث في سرّه

(١) الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ٢٨٥.

بالأمور الخفيّات، الكريم الأصل والنفس والذات»(١).

وقال الحضرمي الشافعي: **«كان عظيم الشأن، جليل المقدار، وقد زعمت الشيعة الرافضة أنّه والد المهدي المنتظر...»**(٢).

وقال أبو سالم محمّد بن طلحة الشافعي: **«إنّ المنقبة العليا والمزية الكبرى التي خصّه الله جلّ وعلا بها فقلّدها فريدها ومنح تقليدها، وجعلها صفة دائمةً لا يبلي الدهر جديدها، ولا تنسى الألسن تلاوتها وترديدها: أنّ المهدي محمّداً نسله المخلوق منه وولده المنتسب إليه والبضعة المنفصلة عنه... وحسب ذلك منقبةً وكفاه»**(٣).

وقال النبهاني: **«الحسن العسكري أحد أئمّة ساداتنا آل البيت العظام وساداتهم الكرام، رضي الله عنهم أجمعين، ذكره الشبراوي في**

---

(١) الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ٢٩٠.

(٢) وسيلة المآل في عد مناقب الآل ـ مخطوط.

(٣) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٢٤٤ وأبو سالم محمّد بن طلحة فقيهٌ كبيرٌ ومحدّث جليل، له مصنّفات، توجد ترجمته والثناء عليه والشهادة ببراعته في المذهب الشافعي وثقته وزهده وجلالته في ذيل الروضتين: ١٨٨، سير أعلام النبلاء ٢٣ / ٢٩٣، الوافي بالوفيات ٣ / ١٧٦، طبقات السبكي ٨ / ٦٣، ابن كثير ١٣ / ١٨٦، النجوم الزاهرة ٧ / ٣٣، شذرات الذهب ٥ / ٢٥٩... توفي سنة ٦٥٢، وقد ذكر الكتاب في كشف الظنون وهدية العارفين وإيضاح المكنون وغيرها، واعتمد عليه المتأخرون عنه في كتبهم ومؤلّفاتهم.

(الإتحاف بحب الأشراف) ولكنّه اختصر ترجمته، ولم يذكر له كرامات، وقد رأيت له كرامة بنفسي، وهو أنّي في سنة ١٢٩٦ سافرت إلى بغداد من بلدة كوي سنجق إحدى قواعد بلاد الأتراك وكنت قاضياً فيها، ففارقتها قبل أن أكمل المدة المعيّنة، لشدّة ما وقع فيها من الغلاء والقحط، الذين عمّا بلاد العراق في تلك السنة، فسافرنا على الكلك قبالة مدينة سامراء وكانت مقرّ الخلفاء العبّاسيين، فأحببنا أن نزور الإمام الحسن العسكري، وخرجنا لزيارته، فحينما دخلت على قبره الشريف حصلت لي روحانيّة لم يحصل لي مثلها قط... وهذه كرامة له. ثمّ قرأت ما تيسّر من القرآن، ودعوت بما تيسّر من الدعوات وخرجت»[1].

أقول:

وقد سبق الشبراوي في اختصار ترجمته وعدم ذكر كرامات له قوم كالخطيب البغدادي وابن الجوزي، بل لم يذكروا شيئاً من أخباره، بل منهم من لم يذكره في كتابه أصلاً!! مع ذكرهم كلّ من دبّ ودَرَج وإيرادهم بتراجمهم الأكاذيب والأباطيل الأعاجيب!! إنّ تواريخهم طافحة بأخبار الأتراك والزّنج وغيرهم من المفسدين، ولا يذكرون شيئاً

(١) جامع كرامات الأولياء ١ / ٣٨٩ ويوسف بن إسماعيل النبهاني، عالم في الفقه والحديث وأديب شاعر، ومصنّف مكثر، توفي سنة ١٣٥٠ توجد ترجمته في معجم المؤلفين ١٣ / ٢٧٥.

أو يذكرون سطوراً معدودة فقط من أخبار آل الرسول والأئمّة الهداة المهديّين...! فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون.

(١٢)

الإمام المهدي عليه السلام

﴿وولده الإمام المهدي عليه السلام محمّد...﴾

قال ابن تيميّة: «قد ذكر محمّد بن جرير الطبري وعبد الباقي ابن قانع وغيرهما من أهل العلم بالأنساب والتواريخ: إنّ الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب. والإماميّة الذين يزعمون أنّه كان له ولد يدّعون أنّه دخل السّرداب بسامراء وهو صغير، منهم من قال: عمره سنتان، ومنهم من قال: ثلاث، ومنهم من قال: خمس سنين.

وهذا لو كان موجوداً معلوماً لكان الواجب في حكم الله الثابت بنص القرآن والسنّة والاجماع أن يكون محضوناً عند من يحضنه في بدنه، كأمّه وامّ امّه ونحوهما من أهل الحضانة، وأن يكون ماله عند من يحفظ....

ثمّ إنّ هذا باتّفاق منهم، سواء قدّر وجوده أو عدمه لا ينتفعون به... هذا المنتظر لم يحصل لطائفة إلّا الإنتظار لمن لا يأتي ودوام الحسرة

والألم ومعاداة العالَم....

ثمّ إنّ عمر واحدٍ من المسلمين هذه المدّة أمر يعرف كذبه بالعادة المطّردة في أُمة محمّد، فلا يعرف أحد ولد في دين الإسلام وعاش مائة وعشرين سنة، فضلاً عن هذا العمر، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال في آخر عمره: أرأيتكم ليلتكم هذه فإنّه على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممّن هو اليوم عليها أحد....

ثمّ أعمار هذه الأُمّة ما بين الستين إلى السبعين، وأقلّهم من يجوز ذلك، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح.

واحتجاجهم بحياة الخضر احتجاج باطل على باطل، فمن الذي يسلّم لهم بقاء الخضر، والذي عليه سائر العلماء المحقّقون أنّه مات، وبتقدير بقائه فليس هو من هذه الأُمّة....

وقوله: روى ابن الجوزي... فيقال: الجواب من وجوه:

أحدها: إنّكم لا تحتجّون بأحاديث أهل السنّة، فمثل هذا الحديث لا يفيدكم فائدة. وإن قلتم: هو حجة على أهل السنّة. فنذكر كلامهم فيه.

الثاني: إنّ هذا من أخبار الآحاد، فكيف يثبت به الأصل الذي لا يصح الإيمان إلاّ به.

الثالث: إنّ لفظ الحديث حجّة عليكم لا لكم، فإنّ لفظه: يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي. فالمهدي الذي أخبر به النبي صلّى الله عليه وسلّم اسمه: محمّد بن عبد الله. لا محمّد بن الحسن. وقد روي عن علي أنّه قال: هو من ولد الحسن بن علي لا من ولد الحسين.

وأحاديث المهدي معروفة، رواها الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم، كحديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

الوجه الرابع: إنّ الحديث الذي ذكره وقوله: اسمه كاسمي وكنيته كنيتي. ولم يقل: يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي. فلم يروه أحد من أهل العلم بالحديث في كتب الحديث المعروفة بهذا اللفظ. فهذا الرافضي لم يذكر الحديث بلفظه المعروف في كتب الحديث، مثل مسند أحمد، وسنن أبي داود، والترمذي، وغير ذلك من الكتب، وإنّما ذكره بلفظٍ مكذوب لم يروه أحد منهم.

وقوله: إنّ ابن الجوزي رواه بإسناده. إن أراد العالم المشهور صاحب المصنفات الكثيرة أبا الفرج، فهو كذبٌ عليه، وإن أراد سبطه

يوسف بن قزأوغلي، صاحب التاريخ المسمّى بمرآة الزمان، وصاحب الكتاب المصنف في الاثني عشر الذي سمّاه إعلام الخواص، فهذا الرجل يذكر في مصنّفاته أنواعاً من الغثّ والسّمين، ويحتجُّ في أغراضه بأحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة، وكان يصنّف بحسب مقاصد الناس، يصنّف للشيعة ما يناسبهم ليعوّضوه بذلك، ويصنّف على مذهب أبي حنيفة لبعض الملوك لينال بذلك أغراضه، فكانت طريقته طريقة الواعظ الذي قيل له: ما مذهبك؟ قال: في أيّ مدينة؟ ولهذا يوجد في بعض كتبه ثلب الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة ـ رضوان اللّه عليهم ـ لأجل مداهنة من قصد بذلك من الشيعة، ويوجد في بعضها تعظيم الخلفاء الراشدين وغيرهم.

ولهذا لما كان الحديث المعروف عند السلف والخلف أن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم قال في المهدي: يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، صار يطمع كثير من الناس في أن يكون هو المهدي، حتى سمّىٰ المنصور ابنه محمّداً ولقّبه بالمهدي مواطاةً لاسمه باسمه واسم أبيه باسم أبيه، ولكن لم يكن هو الموعود به. وأبو عبد اللّه محمّد بن التومرت... وهذا الملقب بالمهدي ظهر سنة بضع وخمسمائة، وتوفّي سنة أربع وعشرين وخمسمائة... وقد ادّعى قبله أنّه المهدي: عبيد اللّه بن ميمون القدّاح... هو وأهل بيته كانوا ملاحدة، وهم أئمّة

الإسماعيليّة... وقد ظهر سنة تسع وتسعين ومائتين، وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. وانتقل الأمر إلى ولده... وانقرض ملك هؤلاء في الدّيار المصرية سنة ثمان وستين وخمسمائة، فملكوها أكثر من مائتي سنة، وأخبارهم عند العلماء مشهورة بالإلحاد والمحادّة للّه ورسوله والردّة والنفاق.

والحديث الذي فيه: لا مهدي إلّا عيسى بن مريم. رواه ابن ماجة، وهو حديث ضعيف...».

أقول:

هذا كلام الرجل في هذا المقام، وما صدر منه ـ في كتابه، حول الإمام المهدي ـ ممّا يخالف أدب أهل الدين ودأب المحصّلين والمناظرين كثير... كقوله:

«ومن حماقتهم أيضاً أنّهم يجعلون للمنتظر عدّة مشاهد ينتظرونه فيها كالسّرداب الذي بسامرّاء الذي يزعمون أنّه غاب فيه، ومشاهد أُخر، وقد يقيمون هناك دابّةً ـ إمّا بغلةً وإمّا فرساً وإمّا غير ذلك ـ ليركبها إذا خرج، ويقيمون هناك إمّا في طرفي النهار وإمّا في أوقات أُخر من ينادي عليه بالخروج: يا مولانا أُخرج، يا مولانا أُخرج، ويشهرون السلاح ولا أحد هناك يقاتلهم، وفيهم من يقوم في أوقات الصلاة دائماً لا يصلّي

خشية أن يخرج وهو في الصلاة فيشتغل بها عن خروجه وخدمته، وهم في أماكن بعيدة عن مشهده، كمدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم، إمّا في العشر الأواخر من رمضان وإمّا في غير ذلك، يتوجّهون إلى المشرق وينادونه بأصوات عالية يطلبون خروجه.

ومن المعلوم أنّه لو كان موجوداً وقد أمره الله بالخروج، فإنّه يخرج سواء نادوه أو لم ينادوه، وإن لم يأذن له فهو لا يقبل منهم، وأنّه إذا خرج فإنّ الله يؤيّده ويأتيه بما يركبه وبمن يعينه وينصره، لا يحتاج إلى أن يوقف له دائماً من الآدميين من ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً.

والله سبحانه قد عاب في كتابه من يدعو من لا يستجيب له دعاءه فقال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

هذا، مع أنّ الأصنام موجودة وكان يوم فيها أحياناً شياطين تتراءى لهم وتخاطبهم. ومن خاطب معدوماً كانت حالته أسوأ من حال من خاطب موجوداً وإن كان جماداً.

فمن دعا المنتظر الذي لم يخلقه الله كان ضلاله أعظم من ضلال

هؤلاء...»[١].

أقول:

وما تكلّم به حول الإمام المهدي المنتظر عليه السلام من هذا النّسق، وما نسبه إلى الإماميّة من هذا القبيل... كثير، وإنّما أوردنا هذه الفقرة من كلماته في الباب ليظهر طرف من أكاذيبه وافتراءاته على هذه الطائفة وإمامها، وليعلم أنّ الرّجل لا يزعه عن الكذب والبهتان دين ولا عقل.

إلّا أنّ من الضّروري البحث بإيجاز عن العقيدة الصحيحة حول الإمام المهدي، المستندة إلى الأدلّة المقبولة لدى المسلمين، ليحيى من حيّ عن بيّنةٍ، ويهلك من هلك عن بيّنة، والله هو المستعان.

وهذا البحث يكون في فصول:

الإعتقاد بالمهدي من ضروريّات الدين:

لقد كان الإخبار عن المهدي وأخباره من جملة المغيّبات التي أخبر عنها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالقطع واليقين ودعا الأمّة إلى التصديق والإذعان بها، فكان الإعتقاد بالمهدي من ضروريّات الدين الإسلامي، وأنّ من أنكره فقد كذّب النبي فيما أخبره، وذلك كفر.

---

(١) منهاج السنّة ١ / ٤٤ ـ ٤٩.

قال ابن تيميّة: **«وأحاديث المهدي معروفة، رواها الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم»**.

قلت: سنذكر طرفاً من تلك الأحاديث في الفصول الآتية.

والمقصود هنا أنّ الاعتقاد بالمهدي يعدّ من ضروريات الإسلام، للأحاديث الكثيرة الواردة عن النبي فيه، عند جميع الفرق الإسلاميّة... والتي أفردها جمع غفير من علماء الشّيعة والسنّة بالتأليف، وكان من أشهر من ألّف في ذلك من أهل السنّة، من السّابقين واللاحقين:

من أشهر المؤلّفين من أهل السنّة في المهدي:

أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب المعروف بابن أبي خيثمة، المتوفى سنة ٢٧٩. أبو عبد اللّه نعيم بن حماد المروزي، المتوفى سنة ٢٨٨. أبو حسين ابن المنادي، المتوفى سنة ٣٣٦. أبو نعيم الإصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠. أبو العلاء العطّار الهمداني، المتوفى سنة ٥٦٩. عبد الغني المقدسي، المتوفى سنة ٦٠٠. محيي الدين ابن عربي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٣٨. سعد الدين محمّد بن مؤيد الحموي الجويني، المتوفى سنة ٦٥٠. أبو عبد اللّه محمّد بن يوسف الكنجي، المتوفى سنة ٦٥٨. يوسف بن يحيى المقدسي، المتوفى

سنة ٦٨٥. ابن قيّم الجوزيّة، المتوفى سنة ٦٨٥. بدر الدين النابلسي، المتوفى سنة ٧٧٢. أبو الفداء ابن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤. ولي الدين أبو زرعة الدمشقي، المتوفى سنة ٨٢٦. جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١. شهاب الدين ابن حجر المكي، المتوفى سنة ٩٧٤. علي بن حسام المتقي الهندي، المتوفى سنة ٩٧٥. نور الدين علي القاري، المتوفى سنة ١٠١٤. مرعي بن يوسف المقدسي، المتوفى سنة ١٠٣٣. محمّد رسول البرزنجي، المتوفى سنة ١١٠٣. محمّد بن إسماعيل الصنعاني، المتوفى سنة ١١٨٢. علي بن محمّد الجمالي المغربي، المتوفى سنة ١٢٤٨. محمّد بن علي الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠. شهاب الدين أحمد الحلواني، المتوفى سنة ١٣٠٨. محمّد حبيب اللّٰه الشنقيطي، المتوفى سنة ١٣٦٣. أحمد بن صديق الغماري، المتوفى سنة ١٣٨٠.

من أشهر القائلين بصحّة أخبار المهدي أو تواترها:

بل إنّ كثيراً من أئمّة القوم يصرّحون بتواتر أخبار المهدي أو صحّتها من طرقهم ومنهم: محمّد بن عيسى الترمذي، المتوفى سنة ٢٩٧. محمّد بن الحسين الآبري، المتوفى سنة ٣٦٣. أبو عبد اللّٰه الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة ٤٠٥. أبو بكر البيهقي، المتوفى

سنة ٤٥٨. أبو محمّد الفرّاء البغوي، المتوفى سنة ٥١٠، ٥١٦. ابن الأثير الجزري صاحب النهاية، المتوفى سنة ٦٠٦. جمال الدين المزّي، المتوفى سنة ٧٤٢. شمس الدين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨. نور الدين الهيثمي، المتوفى سنة ٨٠٧. شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢. جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.

المهدي من هذه الأمّة:

وتفيد الأحاديث المتواترة: أنّ المهدي من هذه الأمّة، وعليه اعتقاد المسلمين قاطبةً، من السّلف والخلف، وأمّا حديث: **«لا مهدي إلّا عيسى بن مريم»** في سنن ابن ماجة، فقد نصّ أئمّة الحديث والرّجال على ضعفه، قال ابن ماجة: **«حدّثنا يونس بن عبد الأعلى، ثنا محمّد بن إدريس الشافعي، حدّثني محمّد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس بن مالك: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: لا يزداد الأمر إلّا شدّة ولا الدنيا إلّا إدباراً ولا الناس إلّا شحّاً، ولا تقوم الساعة إلّا على شرار الناس، ولا مهدي إلّا عيسى بن مريم»**[1].

قلت: هذا الحديث تكذّبه أخبار المهدي عند أهل البيت ﷺ

---

(١) سنن ابن ماجة ٢ / ١٣٤٠.

وأحاديثه الواردة بالتواتر من طرق غيرهم، ولذا فقد ضعّفه الأئمّة كالحاكم والبيهقي وغيرهما[١]، وقد تكلّم علماء القوم في رجاله، قالوا في سنده: «محمّد بن خالد الجَندي» وهو المنفرد بروايته، ولذا أوردوه بترجمته:

فقال المزّي: «**محمّد بن خالد الجندي الصنعاني المؤذّن، روى عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس حديث: لا مهدي إلّا عيسى بن مريم... روى له ابن ماجة حديث المهدي... قال أبو بكر بن زياد: وهذا حديث غريب... وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: هذا حديث تفرّد به محمّد بن خالد الجندي. قال أبو عبد الله الحافظ: ومحمّد بن خالد رجل مجهول، واختلفوا في إسناده...**»[٢].

وقال الذهبي: «**محمّد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح. روى عنه الشافعي. قال الأزدي: منكر الحديث، وقال أبو عبد الله الحاكم: مجهول. قلت: حديثه لا مهدي إلّا عيسى بن مريم. وهو خبر منكر، أخرجه ابن ماجة...**»[٣].

وقال ابن حجر: «**محمّد بن خالد الجندي، بفتح الجيم والنون،**

(١) التاج الجامع للأُصول ٥ / ٣٤١.
(٢) تهذيب الكمال ٢٥ / ١٥١.
(٣) ميزان الاعتدال ٣ / ٥٣٥.

المؤذّن، مجهول، من السابعة ـ ق»[١].

قلت:

و«**أبان بن صالح**» وإن وثّقه الأئمّة ـ كما قالوا ـ لكن عن الحافظين ابن عبد البر وابن حزم أنّهما ضعّفاه[٢]، وقال الذهبي: «**لكن قيل: إنّه لم يسمع من الحسن، ذكره ابن الصّلاح في أماليه**»[٣].

و«**الحسن**» هو: الحسن البصري المعروف المشهور، وعداده في بعض الكتب في مبغضي علي عليه السلام، ولذا ورد الذم فيه عن أهل البيت، بل قيل بتواتر ذلك عنهم[٤]، وأمّا أهل السنّة فإنّهم وإن رووا عنه في الصحاح الستّة وعدّوه من الزُّهاد الثمانية، فقد نصوا على أنّه كان كثير الارسال والتدليس[٥].

قلت:

و«يونس بن عبد الأعلى» وإن وثّقوه إلّا أنّه متّهم بالكذب في هذا الخبر، فقد قال الحافظ المزّي: «**وروى الحافظ أبو القاسم في تاريخ**

(١) تقريب التهذيب ٢ / ١٥٧.

(٢) تهذيب التهذيب ١ / ٨٢.

(٣) ميزان الإعتدال ١٣ / ٥٣٥.

(٤) تنقيح المقال ١ / ٢٦٩.

(٥) تقريب التهذيب ١ / ١٦٥.

دمشق بإسناده عن أحمد بن محمّد بن رشدين قال: حدّثني أبو الحسن علي بن عبيد الله الواسطي قال: رأيت محمّد بن إدريس الشافعي في المنام فسمعته يقول: كذب عليّ يونس في حديث الجندي حديث الحسن عن أنس عن النبي صلّى الله عليه وسلّم في المهدي. قال الشافعي: ما هذا من حديثي ولا حدّثت به، كذب عليّ يونس»[1].

هذا كلّه بالإضافة إلى أنّ الذّهبي قال: وللحديث علة أخرى... فذكرها[2].

هذا، وقد جاء في النّصوص الصحيحة المتكاثرة أنّ عيسى بن مريم ينزل ويصلّي خلف المهدي، ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم بسندهما عن رسول الله ﷺ أنّه قال: **«كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»**[3].

وما أخرجه أحمد بسنده عنه انّه قال في حديث فيه ذكر الدجّال: **«فإذا هم بعيسى بن مريم، فتقام الصلاة، فيقال له: تقدّم يا**

---

(١) تهذيب الكمال ٢٥ / ١٤٩.

(٢) ميزان الإعتدال ٣ / ٥٣٥.

(٣) صحيح البخاري، باب نزول عيسى من كتاب بدء الخلق، صحيح مسلم الباب من كتاب الايمان.

روح الله، فيقول: ليتقدّم إمامكم فليصلّ بكم»[١].

قال المنّاوي: «فإنّه ينزل عند صلاة الصبح على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيجد الإمام المهدي يريد الصلاة فيحسُّ به فيتأخّر ليتقدّم، فيقدّمه عيسى عليه السلام ويصلّي خلفه. فأعظم به فضلاً وشرفاً لهذه الأُمّة»[٢].

قال أبو الحسن الآبري: «قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى -يعني في المهدي- وأنّه من أهل بيته، وأنّه يملك سبع سنين، ويملأ الأرض عدلاً، وأنّه يخرج عيسى بن مريم فيساعده على قتل الدجّال بباب لد بأرض فلسطين. وأنّه يؤمّ هذه الأُمّة وعيسى -صلوات الله عليه- يصلّي خلفه. في طول من قصّته وأمره»[٣].

وقال السيوطي ردّاً على من أنكر هذا «هذا من أعجب العجب، فإنّ صلاة عيسى خلف المهدي ثابتة في عدّة أخبار صحيحة، بإخبار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهو الصادق المصدّق الذي لا يخلف خبره»[٤].

(١) مسند أحمد ٣ / ٣٦٧.

(٢) فيض القدير - شرح الجامع الصغير ٦ / ١٧.

(٣) تهذيب الكمال ٢٥ / ١٤٩.

(٤) الحاوي للفتاوي ٢ / ١٦٧.

أقول:

فظهر سقوط قول السعد التفتازاني: «**فما يقال: إنّ عيسى يقتدي بالمهدي أو بالعكس، شيء لا مستند له، فلا ينبغي أن يعوّل عليه**»[١].

المهدي من عترة النبي أهل بيته:

وهذا أيضاً ممّا تواتر عن رسول اللّه ﷺ في أحاديث المسلمين، كما عرفت التصريح بذلك في بعض الكلمات... ومن ذلك:

ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم ـ واللفظ للأول ـ قال رسول اللّه ﷺ : «**لا تقوم السّاعة حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي**»[٢].

وما أخرجه ابن ماجة في باب خروج المهدي عن علي قال: قال رسول اللّه ﷺ : «**المهدي منّا أهل البيت يصلحه اللّه في ليلة**»[٣].

وما أخرجه أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري: قال قال رسول اللّه ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً قال: ثمّ**

---

(١) شرح المقاصد ٥ / ٣١٣.

(٢) مسند أحمد ١ / ٣٧٦، سنن الترمذي ٣ / ٣٤٣. سنن أبي داود ٤ / ١٥١.

(٣) سنن ابن ماجة ٢ / ١٣٦٧.

يخرج رجل من عترتي -أو من أهل بيتي- يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً»[١]

وأخرجه الحاكم بالسّند بلفظ «أهل بيتي» وقال: **«هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»**.

ووافقه الذهبي في تلخيصه[٢].

وأخرجه عن أبي سعيد الخدري بلفظ «من عترتي» قال: **«هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي»**[٣].

المهدي من ولد فاطمة:

وهو من ولد فاطمة بضعة النبيّ وسيدة نساء العالمين... ومن الأحاديث في ذلك:

ما أخرجه أبو داود وابن ماجة وغيرهما عن أُمّ سلمة عن النبي عليه وآله السلام: **«المهدي من عترتي من ولد فاطمة»**[٤].

وأخرجه الحاكم والذهبي عن سعيد بن المسيّب عن أُم سلمة

---

(١) مسند أحمد ٣ / ٣٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٤ / ٥٥٧.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٤ / ٥٥٨.

(٤) سنن أبي داود، المستدرك، سنن ابن ماجة، التاج ٥ / ٣٤٣.

أنّها سمعت رسول اللّٰه يذكر المهدي فقال: **«نعم هو حق وهو من بني فاطمة»**(١).

وصحّح في التاج سندي أبي داود والحاكم(٢).

المهدي من ولد الحسين:

وتعتقد الشيعة الإثنا عشريّة بأنّ المهدي من ولد الإمام الشهيد السّبط أبي عبد اللّٰه الحسين ﷺ، وأخبارهم بذلك متواترة، وتوافقت معها روايات أهل السنّة ـ في قسم منها ـ فكان هذا القول هو المتّفق عليه بين الفريقين، كما سيأتي ذكر أسماء جماعة من مشاهير أهل السنّة في الحديث والتاريخ وغيرهما القائلين بأنّ المهدي ابن الإمام الحسن الزكي العسكري ﷺ، من ولد الحسين.

وانفردت كتب أُولئك القوم بروايات تفيد أنّه من ولد الإمام الحسن السبط الأكبر ﷺ، وبه قال جماعة منهم:

قال الشيخ علي القاري: **«واختلف في أنّه من بني الحسن أو من بني الحسين. ويمكن أن يكون جامعاً بين النسبتين الحسنين، والأظهر أنّه من جهة الأب حسني، ومن جانب الأُم حسيني، قياساً على ما وقع في**

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٤ / ٥٥٧.

(٢) التاج الجامع للأُصول ٥ / ٣٤٣.

ولدي إبراهيم وهما إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، حيث كان أنبياء بني إسرائيل كلّهم من بني إسحاق وانّما نبيّ من ذريّة إسماعيل نبيّنا صلّى اللّه عليه وسلّم وقام مقام الكلّ ونعم العوض وصار خاتم الأنبياء، فكذلك لمّا ظهرت أكثر الأئمّة وأكابر الأُمّة من ولد الحسين، فناسب أن ينجبر الحسن بأن أعطي له ولد يكون خاتم الأولياء ويقوم مقام سائر الأصفياء، على أنّه قد قيل: لما نزل الحسن رضي اللّه تعالى عنه عن الخلافة الصوريّة ـ كما ورد في منقبته في الأحاديث النبوية ـ أعطي له لواء ولاية المرتبة القطبية، فالمناسب أن يكون من جملتها النسبة المهدويّة المقارنة للنبوة العيسويّة، واتّفاقها على إعلاء كلمة الملّة النبويّة على صاحبها أُلوف السلام وآلاف التحيّة. وسيأتي في حديث أبي إسحاق عن علي كرم اللّه تعالى وجهه ما هو صريح في هذا المعنى، واللّه تعالى أعلم»[1].

أقول:

أوّلا: إنّ قصّة «المهدي» من الأُمور الغيبيّة التي أخبر عنها رسول اللّه ﷺ ـ كما أخبر عن القبر والقيامة وأحوالها، وعن الفتن والملاحم وعن أشراط السّاعة وقضايا الدّجال وغير ذلك ـ ولا يجوز الإعتماد في

(١) المرقاة في شرح المشكاة ٥ / ١٧٩.

مثل هذه الأُمور الاعتقاديّة إلّا على الأخبار الصحيحة المتقنة الواردة عنه، فكيف بمثل ما ذكره القاري من الإستحسانات والتخيّلات التي صنعتها الأفكار الفاسدة والأوهام الكاسدة.

وعلى الجملة، فإنّه لا يجوز الإعتقاد بشيء استناداً إلى «القيل» و«المناسب أن يكون...» وما هو من هذا القبيل.

وثانياً: انّ هذا الوجه الذي ذكره لأن يكون «المهدي» من ولد «الحسن» وهو «تنازل الحسن عن الخلافة» إن هو إلّا وجه اصطنعه القوم في مقابل ما ورد في أخبار أهل البيت عليهم السلام من أنّ اللّٰه سبحانه جعل «المهدي» من ولد «الحسين» لاستشهاده في سبيل اللّٰه وحفظاً لدينه من كيد المنافقين من بني أُميّة وغيرهم.

وثالثاً: قوله: **«وسيأتي في حديث أبي إسحاق...»** يفيد أنّ الحديث المشار إليه هو عمدة القائلين بأنّ «المهدي» من ولد «الحسن» لا «الحسين» وهذا هو الكلام عليه بالتفصيل:

أخرج صاحب المشكاة عن أبي إسحاق قال: **«قال علي ـ ونظر إلى ابنه الحسن ـ قال: إنّ ابني هذا سيّد كما سمّاه رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم، وسيخرج من صلب رجل يسمّى باسم نبيّكم، يشبهه في الخُلق ولا يشبهه في الخَلق. ثمّ ذكر قصّة: يملأ الأرض عدلاً.** رواه

أبو داود ولم يذكر القصة»[١].

قال القاري بشرحه: «**فهذا الحديث دليل صريح على ما قدّمناه من أنّ المهدي من أولاد الحسن ويكون له انتساب من جهة الأُم إلى الحسين، جمعاً بين الأدلّة. وبه يبطل قول الشيعة: انّ المهدي هو محمّد ابن الحسن العسكري القائم المنتظر، فإنّه حسيني بالإتّفاق. لا يقال: لعلّ علياً رضي الله تعالى عنه أراد به غير المهدي. فإنّا نقول: يبطله قصّة يملأ الأرض عدلاً، إذ لا يعرف في السادات الحسينية ولا الحسنية من ملأ الأرض عدلاً إلّا ما ثبت في حق المهدي الموعود**»[٢].

أقول:

إنّه لا دليل في الأُصول الستّة المسمّاة بالصحاح عند القوم على أنّ «المهدي» من ولد «الحسن» إلّا هذا الحديث، وهو ليس إلّا في (سنن أبي داود). قال ابن الأثير: «**[د-أبو إسحاق، عمرو بن عبد الله السبيعي، قال قال علي -ونظر إلى ابنه الحسن- فقال... ثمّ ذكر قصّة يملأ الأرض عدلاً] أخرجه أبو داود ولم يذكر القصّة**»[٣].

---

(١) مشكاة المصابيح ٣ / ١٥٠٣.

(٢) المرقاة في شرح المشكاة ٥ / ١٦٨.

(٣) جامع الأُصول ١١ / ٤٩.

وقال الشيخ منصور: **«عن علي رضي الله عنه قال ـ وقد نظر إلى ابنه الحسن ـ: ان ابني هذا سيّد كما سمّاه النبي، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيّكم يشبهه في الخُلق ولا يشبهه في الخلق. وعنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: يخرج رجل من وراء النهر... رواهما أبو داود»**[١].

أقول:

إذا كان هذا هو الدليل الوحيد للقول بأنّ «المهدي» من ولد «الحسن» فلا بدّ من التأمّل فيه سنداً ولفظاً ومدلولاً:

أمّا سند الحديث، فقد جاء في سنن أبي داود: **«قال أبو داود: حدّثت عن هارون بن المغيرة قال: نا عمرو بن أبي قيس، عن شعيب بن خالد عن أبي إسحاق، قال قال علي... ثمّ ذكر قصّة يملأ الأرض عدلاً»**[٢].

ويكفي لوهنه ما في أوّل السّند وآخره. أمّا أوّله فأبو داود يقول: «حدّثت عن هارون بن المغيرة» فمن الذي حدثه به؟ وأمّا في آخره فأبو إسحاق السبيعي إنّما رأى علياً عليه السلام رؤيةً فقط، فلا بدّ وأنّه حُدّث

(١) التاج ٥ / ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

(٢) صحيح أبي داود ٢ / ٢٠٨.

بذلك، فمن الذي حدّثه به؟

هذا، وقد جاء في حاشية جامع الأُصول عن الحافظ المنذري: «**قال المنذري: هذا منقطع، أبو إسحاق رأى علياً رؤية فقط. وقال فيه أبو داود: حدّثت عن هارون بن المغيرة**» كما جاء في حاشية المشكاة: «**إسناد الحديث ضعيف**».

وأمّا لفظه فمختلف صدراً وذيلاً، أمّا صدره ففي أنّه «الحسن» أو «الحسين»، فقد قال القندوزي الحنفي «**وعن أبي اسحاق قال: قال علي ـ ونظر إلى ابنه الحسين ـ قال: إنّ ابني هذا سيد... ثمّ ذكر قصّة يملأ الأرض عدلاً.**

رواه أبو داود ولم يذكر القصّة»[1] وهذا نفس ما جاء في (جامع الأصول) و(المشكاة) نقلاً عن (أبي داود) إلّا أنّه بلفظ «الحسين» لا «الحسن».

هذا بالنسبة إلى حديث أبي داود، وكذلك الأمر بالنسبة إلى حديث غيره من أحاديث الباب، الواردة في بعض الكتب، فهذا السّلمي الشافعي يروي في كتاب (عقد الدرر في أخبار المنتظر) عن الأعمش عن أبي وائل مثل حديث أبي إسحاق السبيعي، لكن النسخ

---

(١) ينابيع المودة: ٥١٨.

مختلفة، فعن النسخة الأصليّة، وكذا المستنسخة عن خطّ المؤلّف: **«نظر إلى الحسين»** وفي بعض النسخ الأُخرى منه: **«نظر إلى الحسن»**.

وروى عن الحافظ أبي نعيم في (صفة المهدي) حديث حذيفة الآتي عن (ذخائر العقبى)، فكان في النسخة الأصليّة والمكتوبة عن خطّه أيضاً: **«وضرب بيده على الحسين»**، لكن في بعض النسخ الأُخرى: «الحسن»[١].

فهل وقع هذا الاختلاف عندهم من جهة الشبه بين لفظي «الحسن» و«الحسين» كتابةً، أو كان هناك قصد وعمد من بعض المغرضين، كيلا تصل الحقائق إلى الأُمّة كما هي وكما تروى عن أهل البيت الذين هم أدرى بما في البيت؟ إنّه وإن لم نستبعد الاحتمال الأوّل، لكنّ الذي يقوى في النظر هو الثاني، لقرائن كثيرة عندنا تؤيّده، لا سيّما فيما يتعلّق بأهل البيت، وحتّى في هذا المورد عثرنا على قرينة قويّة على أنّ القوم كانوا يحاولون كتم الحقيقة ـ وهي كون «المهدي» من ولد «الحسين» ـ أو كانوا يمتنعون من التصريح بها، والله العالم بسبب ذلك!! وذلك:

ما رواه الإمامان الحافظان أبو الحسين أحمد بن جعفر بن

(١) عقد الدرر: ٢٣ ـ ٢٤.

المنادي، وأبو عبد اللّه نعيم بن حماد، عن قتادة قال: **قلت لسعيد بن المسيّب: أحق المهدي؟ قال: نعم، هو حق. قلت: ممّن هو؟ قال: من قريش. قال: قلت من أي قريش؟ قال: من بني هاشم. قلت: من أي بني هاشم؟ قال من ولد عبد المطلب. قلت: من أيّ ولد عبد المطلب؟ قال: من أولاد فاطمة. قلت: من أي ولد فاطمة؟ قال: حسبك الآن**»[1].

قلت: فلماذا «حسبك الآن»؟ اللّه أعلم!!

هذا فيما يتعلّق بصدر حديث أبي داود.

وأمّا ذيله، فقد عرفت أنّ أبا داود يقول: «**وذكر قصّة يملأ الأرض عدلاً**» فمن الذي «ذكر»؟ ولماذا لم يذكر أبو داود القصّة، كما نبّه عليه ابن الأثير وصاحب المشكاة وغيرهما؟ ثمّ جاء صاحب (التاج) فلم يذكر قوله: «**وذكر قصّة يملأ الأرض عدلاً**» أصلاً، ممّا يؤكّد أنّ هذه القطعة لم تكن من الحديث، ويزيده تأكيداً أنّ الحافظ البيهقي رواه في كتاب (البعث والنشور) عن أبي إسحاق كذلك، أي إلى قوله: «**يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق**»[2].

وأمّا مفاد الحديث ومدلوله، فإنّه بعد ما عرفت الإضطراب في

---

(١) عقد الدرر: ٢٣.

(٢) عقد الدرر: ٣١.

لفظه ومتنه لا يدلّ على شيء، فلا يبقى مجال لما ذكره القاري، ويسقط ما ادّعاه من أنّ الحديث يبطل ما تذهب إليه الشيعة الإماميّة! وأيضاً: يبقى الإشكال الذي أورده بقوله: «**لا يقال: لعلّ عليّاً**...» على حاله، إذ قصّة «**يملأ الأرض عدلاً**» لم يظهر كونها من الحديث عن علي عليه السلام لو كان بلفظ «الحسن».

وتلخّص:

أن لا دلالة لحديث أبي داود على ما ذهب إليه بعض أهل السنّة من أنّ «المهدي» من ولد «الحسن» إن صحّ سنده... وقد ثبت عندنا أن لا مستمسك لهذا القول في الكتب المعتبرة المشتهرة عندهم إلّا هذا الحديث الذي عرفت حاله سنداً ومتناً ودلالةً.

فما ذهب إليه أصحابنا ـ ووافقهم عليه من غيرهم كثيرون ـ من أنّه من ولد «الحسين» هو الحق، وبه تواترت الأخبار عندهم، ومن أخبار أهل السنّة في ذلك:

* قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لو لم يبق من الدّنيا إلّا يوم واحد لطوّل اللّه عزّ وجلّ ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من ولدي، اسمه اسمي. فقام سلمان الفارسي ـ رضي اللّه عنه ـ فقال: يا رسول اللّه، من أيّ ولدك؟ قال: من ولدي هذا. وضرب بيده على الحسين**».

أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الأربعين حديثاً في المهدي، وغيرهما، وراجع: المنار المنيف لابن القيّم ١٤٨، عقد الدرر: ٢٤، فرائد السمطين ٢ / ٣٢٥، القول المختصر: ٧.

* وقوله ﷺ لفاطمة بضعته في مرض وفاته: **«ما يبكيك يا فاطمة؟ أما علمت أنّ الله تعالى اطّلع إلى الأرض إطلاعة فاختار منها أباك فبعثه نبيّاً، ثمّ اطّلع ثانيةً فاختار بعلك، فأوحى إليّ فأنكحته واتّخذته وصيّاً. أمّا علمت أنّك بكرامة الله تعالى أباك زوّجك أعلمهم علماً وأكثرهم حلماً وأقدمهم سلماً؟ فضحكت واستبشرت. فأراد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أن يزيدها مزيد الخير كلّه الذي قسمه الله لمحمّد وآل محمّد، فقال لها: يا فاطمة، ولعليّ ثمانية أضراس ـ يعني مناقب ـ: إيمان بالله ورسوله، وحكمته، وزوجته، وسبطاه الحسن والحسين، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر. يا فاطمة: إنّا أهل بيت أعطينا ست خصال لم يعطها أحد من الأوّلين ولا يدركها أحد من الآخرين غيرنا أهل البيت: نبيّنا خير الأنبياء وهو أبوك، ووصيّنا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عمّ أبيك. ومنّا سبطا هذه الأُمّة وهما ابناك، ومنّا مهدي الأُمّة الذي يصلّي عيسى خلفه. ثمّ ضرب على منكب الحسين فقال: من هذا مهدي الأُمّة».**

أخرجه الدارقطني وأبو المظفّر السمعاني، وانظر: البيان

لأبي عبد اللّٰه الكنجي الشافعي ـ مع كفاية الطالب ـ: ٥٠١، والفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٢٩٥.

* وعن عبد اللّٰه بن عمرو: «**يخرج المهدي من ولد الحسين من قبل المشرق، لو استقبلته الجبال لهدمها واتّخذ فيها طرقاً**».

أخرجه الحافظ نعيم بن حماد، والحافظ الطبراني، والحافظ أبو نعيم الإصفهاني. راجع: عقد الدرر للسلمي الشافعي: ٢٢٣.

ذكر بعض من قال بأنّ المهدي ابن الحسن العسكري

ولقد صرّح جماعة كبيرة من أعلام أهل السنّة ـ بما فيهم المحدّثون والمؤرّخون والعرفاء والصّوفيّة ـ بأنّ «المهدي» هو ابن «الحسن بن علي العسكري» ونصّوا على ولادته، ومنهم:

أحمد بن محمّد بن هاشم البلاذري، المتوفى سنة ٢٧٩. أبو بكر البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨. أبو محمّد عبد اللّٰه بن الخشّاب، المتوفى سنة ٥٦٧. إبن الأزرق المؤرّخ، المتوفى سنة ٥٩٠. ابن عربي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٣٨. كمال الدين ابن طلحة، المتوفى سنة ٦٥٢. سبط ابن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤. أبو عبد اللّٰه الكنجي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٨. صدر الدين القونوي، المتوفى سنة ٦٧٢. صدر الدين الحموئي، المتوفى سنة ٧٢٣. عمر بن الوردي،

المتوفى سنة ٧٤٩. صلاح الدين الصفدي، المتوفى سنة ٧٦٤. شمس الدين ابن الجزري، المتوفى سنة ٨٣٣. ابن الصبّاغ المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥. جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١. الشيخ عبد الوهاب الشعراني، المتوفى سنة ٩٧٣. ابن حجر المكّي، المتوفى سنة ٩٧٣. الشيخ علي القاري، المتوفى سنة ١٠١٣. الشيخ عبد الحق الدهلوي، المتوفى سنة ١٠٥٢. شاه ولي اللّه الدهلوي، المتوفى سنة ١١٧٦. الشيخ القندوزي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٩٤.

النّظر في كلام ابن تيميّة والردُّ عليه:

إذا عرفت ما ذكرناه في الفصول المتقدّمة، ظهر لك ما في كلمات ابن تيميّة في المقام، من المزاعم الباطلة والدعاوي العاطلة:

أمّا قوله: «ذكر محمّد بن جرير الطبري وعبد الباقي ابن قانع وغيرهما من أهل العلم بالأنساب والتواريخ: إنّ الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب» ففيه:

نسبة القول بأنّ الإمام العسكري لم يعقب إلى الطبري

أوّلاً: إنّ المرجع المعتمد عليه في مثل هذه الأمور هم «أهل البيت» ومن كان منهم ومن شيعتهم العارفين بأحوالهم، لا الأباعد

الذين لا يمتّون إليهم بصلة، فكيف بالمقاطعين والمناوئين لهم!

وثانياً: قد عرفت أنّ القائلين بولادة الإمام المهدي ابن الحسن العسكري عليهما السلام من غير شيعتهم كثيرون.

وثالثاً: لقد سبق وأن نسب هذا القول إلى الطبري وعبد الباقي وغيرهما من أهل العلم بالنسب، فقال محمّد رشاد سالم في ذيله هناك ما هذا نصّه: **«قد أشار الأستاذ محبّ الدين الخطيب في تعليقه على المنتقى من منهاج الاعتدال، تعليق (٢) ص (٣) إلى واقعة حدثت سنة ٣٠٢، وهي مذكورة في تاريخ الطبري، تبيّن أنّ الحسن العسكري لم يعقب. وقد ذكر الواقعة عريب بن سعد القرطبي في صلة تاريخ الطبري ٨ / ٣٤ـ ٣٥ القاهرة ١٣٥٨ / ١٩٣٩»**[1].

فاكتفى هناك بـ«الإشارة» إلى «الإشارة». ثمّ أوضح ذلك هنا قائلاً: **«أشرت هناك إلى أنّ عريب بن سعد القرطبي قد ذكر في (صلة تاريخ الطبري) أنّ الحسن بن علي العسكري لم يعقب، وخلاصة هذه الواقعة في (تاريخ الطبري ١١ / ٤٩ـ ٥٠ كتاب الصلة: إنّ رجلاً زعم أنّه محمّد بن الحسن المهدي فأمر المقتدر بإحضار ابن طومار نقيب الطّالبيين ومشايخ آل أبي طالب، فسأله عن نسبته، فزعم أنّه محمّد بن الحسن بن**

(١) منهاج السنّة ١ / ١٢٢ هامش الطبعة الجديدة.

موسى بن جعفر الرضا، وأنّه قدم من البادية. فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن ـ وكان قوم يقولون: إنّه أعقب وقوم قالوا: لم يعقب... الخ»[1] ثمّ نقل كلام بعض المعاصرين وهو الدكتور أحمد صبحي....

هذا غاية ما أمكن الرجل أن يذكره تشبيداً وتأييداً لنسبة نفي الإعقاب إلى الطبري وغيره من علماء التواريخ والأنساب!

فابن تيميّة لم يذكر لا موضع كلام الطبري وابن قانع، ولا واحداً من أسماء غيرهما من أهل التاريخ والنّسب!! وهذا الرجل الناشر لكتابه والمعلّق عليه، لم يأت بموضع كلام الطبري ولا غيره مطلقاً، وانّما أشار إلى وجود «واقعة» كما قال، أوردها عريب بن سعد القرطبي في كتاب (صلة تاريخ الطبري)!!

وهو تارةً يكتفي بـ«إشارة الأستاذ محبّ الدين...» إلى تلك «الواقعة» الحادثة في «سنة ٣٠٢» ويدّعي كونها مذكورة في تاريخ الطبري «لا بدّ أن تكون في حوادث السنة المذكورة!! وهو يزعم أنّ الواقعة «تبين» أنّ الحسن العسكري لم يعقب. ثمّ يضيف أنّه «قد ذكر الواقعة عريب...» فكأنّها مذكورة في (تاريخ الطبري) و(صلة تاريخ الطبري) معاً، في «سنة ٣٠٢»!!

---

(١) منهاج السنّة ٤ / ٨٧ هامش الطبعة الجديدة.

وتارة أُخرى: لا ينسب الخبر إلى «الطبري» وانّما ينسبه إلى «عريب» ويقول من قبل: «أنّ عريب بن سعد القرطبي قد ذكر في صلة تاريخ الطبري أنّ الحسن بن علي العسكري لم يعقب»!! ثمّ إنّه لم يذكر «الواقعة» بتمامها، وإنّما ذكر «خلاصة هذه الواقعة . . .».

فنقول:

١ ـ الطّبري ـ بغض النظر عن تكلّمهم فيه وفي كتابه ـ غير قائل في (تاريخه) بأنّ الحسن بن علي العسكري لم يعقب، فنسبة القول بذلك إليه كذب.

٢ ـ إنّ (تاريخ الطبري) ينتهي بحوادث «سنة ٣٠٢» وليس فيها الواقعة. فالقول بوجودها فيه كذب.

٣ ـ وعبد الباقي ابن قانع الأُموي البغدادي ـ لو فرض كونه قائلاً بذلك، وفرض أيضاً كونه من أهل التاريخ والنسب ـ مجروحٌ مقدوح فيه، أورده الحافظان الذهبي وابن حجر في (الميزان)[١] و(لسان الميزان)[٢] وترجم له الذهبي في (سير أعلام النبلاء) فلم ينقل إلّا كلمات الذم والتضعيف[٣]... لكنّ الظاهر أنّه غير قائل بذلك، وإلّا

---

(١) ميزان الاعتدال ٢ / ٥٣٢.

(٢) لسان الميزان ٣ / ٣٣٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥ / ٥٢٦.

لذكر كلامه المقلّدون لابن تيميّة. فالنسبة كاذبة.

٤ ـ ولم يذكر ابن تيميّة اسم أحد من أهل التاريخ والنسب غير الرّجلين... ولو كان لأبان ذلك مقلّدوه. فالنّسبة كاذبة.

٥ ـ وعريب بن سعد (أو سعيد) صاحب (صلة تاريخ الطبري) مجهول، لا ذكر له في كتب الرّجال ولا نقل عنه في كتب الحديث أصلاً، فالإعتماد على نقل هكذا شخص لـ«واقعة» لنفي مطلب مثل ما نحن فيه، باطل.

٦ ـ وعريب القرطبي ـ هذا ـ لم يذكر ولم يقل **«أنّ الحسن بن علي العسكري لم يعقب»** فالنسبة كاذبة.

٧ ـ و«الواقعة» المحكيّة في (صلة تاريخ الطبري) لا سند لها، والإستناد إلى واقعةٍ هذا حالها لنفي أمر اعتقادي وللردّ على قول الاماميّة، لا يصدر إلّا من جاهل لا يعرف طريقة الإستدلال، أو من متعصّب مبغض للنبيّ والآل.

٨ ـ على أنّ «الواقعة» لا علاقة لها بـ«المهدي» ولا «الحسن بن علي العسكري»... ولعلّه لذا لم يورد الدكتور المحقّق القصّة ومحلّ الشاهد منها... بل أضاف قبل ذكر خلاصتها جملة: **«إنّ رجلاً زعم أنّه محمّد بن الحسن المهدي»** وسنرى أنّ كلتا الجملتين كذب.

٩ ـ «الواقعة» كما في (صلة تاريخ الطبري) في حوادث «سنة ٣٠٢» هي: «وفيها جاء رجل حسن البزّة، طيب الرائحة، إلى باب غريب خال المقتدر، وعليه درّاعة وخفّ أحمر وسيف جديد بحمائل، وهو راكب فرساً ومعه غلام، فاستأذن للدخول، فمنعه البوّاب، فانتهره وأغلظ عليه ونزل فدخل، ثمّ قعد إلى جانب الخال وسلّم عليه بغير الإمرة. فقال له غريب ـ وقد استبشع أمره ـ: ما تقول أعزّك اللّه؟ قال: أنا رجل من ولد علي بن أبي طالب، وعندي نصيحة للخليفة لا يسعني أن يسمعها غيره... فاجتهد الوزير والحاجب نصر والخال أن يعلمهم النصيحة ما هي، فأبي حتى أُدخل إلى الخليفة... وأمر المقتدر أن يحضر ابن طومار نقيب الطالبيين ومشايخ آل أبي طالب... فسأل ابن طومار عن نسبته، فزعم أنّه محمّد بن الحسن بن علي بن موسى بن جعفر الرضا، وأنّه قدم من البادية. فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن ـ وكان قوم يقولون: انّه أعقب وقوم قالوا: لم يعقب ـ فبقي الناس في حيثرة من أمره، حتى قال ابن طومار: هذا يزعم أنّه قدم من البادية وسيفه جديد الحلية والصنعة، فابعثوا بالسيف إلى دار الطاق وسلوا عن صانعه وعن نصله فبعث به إلى أصحاب السيوف بباب الطاق، فعرفوه وأحضروا رجلاً ابتاعه من صيقل هناك، فقيل له: لمن ابتعت هذا السيف؟ فقال: لرجل يعرف

بابن الضبعي، كان أبوه من أصحاب ابن الفرات، وتقلّد له المظالم بحلب، فأحضر الضبعي الشيخ، وجمع بينه وبين هذا المدّعي إلى بني أبي طالب، فأقرّ بأنّه ابنه، فاضطرب الدعي وتلجلج في قوله، فبكى الشيخ بين يدي الوزير حتى رحمه ووعده بأن يستوهب عقوبته ويحبسه أو ينفيه. فضجَّ بنو هاشم وقالوا: يجب أن يُشهر هذا بين الناس ويعاقب أشدُّ عقوبة. ثمّ حبس الدعي وحمل بعد ذلك على جمل وشهر في الجانبين، يوم التروية ويوم عرفة، ثمّ حبس في حبس المصريين بالجانب الغربي»[1].

أقول:

فهذه هي «الحكاية» الواردة في «صلة تاريخ الطبري»، وهل هي «واقعة» أو لا؟ الله العالم... ولكنّها ـ كما ترى ـ لا ذكر فيها لـ«المهدي» بل الرجل ادّعى كونه «محمّد بن الحسن بن علي بن موسى بن جعفر الرضا» وهذا غير «المهدي» الذي تقول به الشيعة ويعترف به من غيرهم جماعة، فإنّه «محمّد بن الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق» والذي أنكر ابن طومار ـ وغيره ممّن أنكر، بناءً على صحّة الخبر واعتبار ما صدر عنهم من الإنكار ـ هو إعقاب

(١) صلة تاريخ الطبري، المطبوع معه. انظر ج ١١ / ٤٩ ـ ٥٠.

«الحسن بن علي بن موسى بن جعفر»، وأيّ ربط لهذا بما نحن فيه، أيّها «الدكتور» الأريب! وأيّها «الأُستاذ الخطيب»؟!

وأمّا قوله: **«والإماميّة الذين يزعمون أنّه كان له ولد يدّعون أنّه دخل السّرداب بسامراء وهو صغير... فكيف يكون من يستحقّ الحجر عليه في بدنه وماله إماماً لجميع المسلمين معصوماً، لا يكون أحد مؤمناً إلّا بالإيمان به».**

أقول:

فهذا واضح البطلان، فإنّ «الإمامة» مثل «النبوّة» لا يعتبر فيها البلوغ. قال اللّه تعالى في عيسى عليه السلام **﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾**(١).

وأمّا قوله: **«ثمّ إنّ هذا باتّفاق منهم ـ سواء قدّر وجوده أو عدمه ـ لا ينتفعون به لا في دين ولا في دنيا...».**

أقول:

هذا كذب، بل المتّفق عليهم بينهم هو الإنتفاع منه في الدين والدنيا، بل الإنتفاع واقع مستمر، ولكنّ المنافقين لا يعلمون!!

---

(١) سورة مريم: ٢٩ ـ ٣١.

وعلى الجملة، فقد أثبت الأصحاب وقرّروا في محلّه من كتب الإمامة: أنّ الإمامة واجبة على اللّه من باب اللطف، وأنّ الأرض لا تخلو من إمام، وأنّ وجود الإمام لطف وتصرّفه لطف آخر وعدمه منّا، كما أنّ الرسالة واجبة على اللّه كذلك، وأنّه يرسل الرّسل مبشّرين ومنذرين لئلا يكون للناس على اللّه حجّة، وليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة، فكانت الأُمم كلّما جاءهم رسولٌ من عند اللّه وقتلوه بغير حق، أرسل إليهم غيره، فكان منهم من يقتل في اليوم الأول من دعوته، حتى جاء نبيّنا ﷺ فحاربه قومه وآذوه حتى قال: ما أُوذي نبيٌ بمثل ما أُوذيت... وكان من ذلك أنّهم حبسوه في الشعب... لكن لم تبطل نبوّته مدّة كونه فيه... وكذلك الأئمّة من بعده عليهم السلام أُوذوا وقتلوا، فلم يكن إعراض الأُمّة عنهم ـ واتّباعهم لأهل الفسق والفجور بعنوان الخلفاء عن الرسول ـ بمبطل لإمامتهم، كما ليس غيبة الثاني عشر منهم بمبطل لإمامته.

هذا موجز الكلام في هذا المقام، وللتفصيل مجال آخر.

مسألة طول العمر

وأمّا قوله: «ثمّ إنّ عمر واحدٍ من المسلمين هذه المدّة أمر يعرف كذبه بالعادة المطّردة في أُمّة محمّد، فلا يعرف أحد ولد في دين الاسلام

وعاش مائة وعشرين سنة، فضلاً عن هذا العمر...».

أقول:

إنّ اللّٰه عزّ وجلّ قادر على أن يبقي الإنسان -أي انسان شاء- بأيّ مقدار شاء، وخوارق العادات في العالم بإذنه وارادته كثيرة لا تحصى... وهذا لا يختص بأُمّة دون أُمّة، ومن الذي يمكنه أن يستقرئ أحوال من ولد في الإسلام من الأولين والآخرين حتى يدّعي أن لا يعرف أحد ولد في دين الإسلام وعاش مائة وعشرين سنة، حتّى يحكم بخروجه عن هذا الدين إذا وجده، وهل هذا معنى ما رووه عن النبي ﷺ -وصحّحوه- أنّه قال: **«عمر امّتي من ستّين إلى سبعين»**؟

وعلى الجملة، فإنّ العمر بيد اللّٰه، فإن كانت المصلحة في بقاء الانسان مدّة مديدةً أبقاه وإلّا أماته متى اقتضت، ولا فرق بين هذه الأُمّة وغيرها، نعم كان الغالب في الأُمم السالفة طول العمر -ومنهم يموت في شبابه- والغالب في هذه الأُمّة عدم البلوغ إلى المائة، ومنهم من يبقى ويعمّر أكثر من المائة بكثير، وتلك أخبار المعمّرين في الكتب مسطورة، حتى أفردها بعضهم فألّف كتاب (المعمّرون والوصايا).

هذا، وقد تكلّم غير واحدٍ من أعلام أهل السنة في مسألة طول عمر المهدي واعترض على الإمامية، ومنهم من نفى وجود الإمام

المهدي من هذا الطريق، وانبرى أصحابنا للجواب عن هذه الشبهة بوجوه كافية وأدلّة وافية، فلاحظ الكتب المفصلة.

وأمّا قوله: «**واحتجاجهم بحياة الخضر احتجاج باطل على باطل، فمن الذي يسلّم لهم بقاء الخضر، والذي عليه سائر العلماء المحقّقون أنّه مات، وبتقدير بقائه فليس هو من هذه الأمّة**».

أقول:

الإحتجاج ببقاء الخضر ان هو إلّا احتجاج بموردٍ من الموارد التي اقتضت الحكمة الآلهية بقاء شخص من الأشخاص في هذا العالم، وقد قدّمنا أنّ هذا لا يختص بأُمّة دون أُمّة، إذ المناط القدرة الإلهية والحكمة المقتضية لذلك، أمّا القدرة فلا ينكرها مسلم مؤمن، وأمّا الحكمة فاللّه العالم بها... والخضر واحدٌ من بني آدم شاء اللّه عزّ وجلّ أن يبقى القرون الكثيرة حتى زمن رسول اللّه ﷺ ، حيث روى غير واحد من الأئمّة حديث وروده دار النبي ﷺ بعد وفاته للتعزية، فإنّه ممّا يفيد أنّه حيّ موجود كما صرّح بعض الحفاظ[1].

بل لقد عنونه الحافظ ابن حجر في (الإصابة في معرفة الصحابة) قال: «**ولم أر من ذكره فيهم من القدماء مع ذهاب الأكثر إلى الأخذ بما**

(١) المرقاة في شرح المشكاة ٥ / ٥٠٤.

ورد من أخباره من تعميره وبقائه» فتكلّم عن نسبه ونبوّته وبقائه على نحو التّفصيل جدّاً، وعبارته المذكورة صريحة في ذهاب الأكثر إلى بقائه، وبهذا نصّ كثيرون من الأئمّة ـ كما نقل عنهم ـ كالحسن البصري والثعلبي والنووي وأبي عمرو ابن الصّلاح وأبي عبد الرحمن السلمي واليافعي وغيرهم، ولهم في ذلك أخبار وحكايات أفردها بعضهم ـ كعبد المغيث بن زهير الحنبلي ـ بالتأليف، قال النووي في (تهذيبه): **«قال الأكثرون من العلماء: هو حي موجود بين أظهرنا وذلك متّفق عليه عند الصّوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه، ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير، أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تذكر».** وقال أبو عمرو ابن الصّلاح في (فتاويه): **«هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة منهم. قال: وإنّما شذّ بإنكاره بعض المحدّثين».** وقال الحافظ ابن حجر ـ في آخر البحث ـ: **«قلت: وذكر لي الحافظ أبو الفضل العراقي شيخنا: أنّ الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي كان يعتقد أن الخضر حي. قال: فذكرت له ما نقل عن البخاري والحربي وغيرهما من إنكار ذلك، فغضب وقال: من يدّعي أنّه مات غضبت عليه. قال: فقلنا: رجعنا عن اعتقاد موته. انتهى. وأدركنا بعض من كان يدّعي أنّه يجتمع بالخضر، منهم القاضي علم الدين البساطي الذي ولي قضاء المالكية في زمن**

الظاهر برقوق، والله تعالى أعلم وبغيبه أحكم».

هذا، ومثل الخضر في البقاء في هذا العالم: إلياس، فعن محمّد بن جرير الطبري: إنّ الخضر وإلياس باقيان يسيران في الأرض(١). أمّا بقاء عيسى عليه السلام فمن الضروريّات.

كما تواتر الخبر في بقاء الدّجال.

وأمّا قوله: ردّاً على العلّامة طاب ثراه في استدلاله بما رواه ابن الجوزي: **«فيقال: الجواب عن وجوه:...».**

حديث: إسم أبيه إسم أبي

فأقول:

لنا هنا بحثان، **أحدهما:** في أنّ الحديث بلفظ «اسمه اسمي» بدون **«واسم أبيه اسم أبي»** رواه أحد من أهل العلم بالحديث، أو لا؟ **والثاني:** في أنّ الحديث بلفظ «إسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» من رواه؟ وما إسناده؟

---

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان ط مع كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ٥٢٢ ـ ولا يخفى أنّ ابن جرير الطبري ممّن يعتمد عليه ابن تيميّة في التواريخ والأنساب وفي التفسير.

البحث الأوّل:

نقول ـ كما قال ابن تيميّة ـ أحاديث المهدي معروفة، رواها الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم، كحديث عبد اللّٰه بن مسعود، عن النبي صلّى اللّٰه عليه وسلّم أنّه قال: **«لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد...»** لكنّ الحديث عن ابن مسعود ليس كما ذكره ابن تيميّة.

وفي رواية أحمد في مسند عبد اللّٰه بن مسعود عن عمر بن عبيد عن عاصم ابن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد اللّٰه قال: **«قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم: لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك رجل من أهل بيتي اسمه يواطئ اسمي»**[1].

وعن يحيى بن سعيد عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد اللّٰه عن النبي صلّى اللّٰه عليه وسلّم قال: **«لا تذهب الدنيا أو قال: لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي ويواطئ اسمه اسمي»**[2].

ورواه بنفس السند واللفظ مرة أُخرى[3].

وعن عمر بن عبيد الطنافسي، عن عاصم عن زر عن عبد اللّٰه

---

(١) مسند أحمد ١ / ٣٧٦.

(٢) مسند أحمد ١ / ٣٧٧.

(٣) مسند أحمد ١ / ٤٣٠.

باللّفظ(١).

وفي رواية التّرمذي «**حدّثنا عبيد بن أسباط بن محمّد القرشي الكوفي قال: حدّثني أبي، حدّثنا سفيان الثوري عن عاصم بن بهدلة عن زر عن عبد الله قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي. قال أبو عيسى: وفي الباب عن: علي وأبي سعيد وأُمّ سلمة وأبي هريرة. وهذا حديث حسن صحيح**»(٢).

البحث الثاني: والحديث في رواية أبي داود كذلك، غير أنّه رواه في أحد الأسانيد بزيادة لفظ «**واسم أبيه اسم أبي**» وهذا نصّ ما ذكره:

«**حدّثنا مسدد: إن عمر بن عبيد حدّثهم. وثنا محمّد بن العلاء ثنا أبو بكر ـ يعني ابن عيّاش ـ حدثنا مسدّد ثنا يحيى، عن سفيان، وثنا أحمد بن إبراهيم، ثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا زائدة. حدثنا أحمد بن إبراهيم حدّثني فطر ـ المعنى واحد ـ كلّهم عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم، قال زائدة: لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل منّي أو من أهل**

(١) مسند أحمد ١ / ٤٤٨.

(٢) صحيح الترمذي ٤ / ٤٣٨.

بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي: زاد في حديث فطر: يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وقال في حديث سفيان: لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي.

قال أبو داود: لفظ عمر وأبي بكر بمعنى سفيان»[1].

فظهر التطابق في الرواية لحديث عبد الله بن مسعود بين رواية أحمد والترمذي وأبي داود، وهو المطابق لما تذهب إليه الإماميّة، ووافقهم عليه من غيرهم كثيرون من أنّه «محمّد بن الحسن العسكري» فاسمه يواطئ اسم جدّه رسول الله ﷺ.

وانفرد أبو داود برواية الحديث بسند فيه «زائدة» بزيادة لفظ «**واسم أبيه اسم أبي**».

وقد تكلّم علماء الفريقين على هذا اللفظ سنداً ومعنى وأجابوا عنه بوجوه عديدة، لا حاجة بنا إلى التطويل بإيرادها بعد ما تقرّر لزوم طرح الشاذ النادر من الأخبار، والأخذ بالمجمع عليه، لكون المجمع عليه لا ريب فيه.

وقد كرّر ابن تيميّة دعواه في لفظ حديث عبد الله بن مسعود،

---

(١) سنن أبي داود ٢ / ٢٠٧.

ولم يعز روايته بلفظ «واسم أبيه اسم أبي» إلى أحد غير أنّه بعد أن أورده كذلك قال: «ورواه الترمذي وأبو داود من رواية أمّ سلمة» وظاهره إخراجهما الحديث عنها بذاك اللفظ، وهو كذب في كذب. ولننقل عين عبارته:

«إنّ الأحاديث التي يحتج بها عن خروج المهدي أحاديث صحيحة، رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم، من حديث ابن مسعود وغيره، كقوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الذي رواه ابن مسعود: لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطوّل الله ذلك اليوم، حتى يخرج فيه رجل منّي أو من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ورواه الترمذي وأبو داود من رواية أمّ سلمة....

وهذه الأحاديث غلط فيها طوائف، طائفة أنكروها واحتجّوا بحديث ابن ماجة أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: لا مهدي إلّا عيسى بن مريم. وهذا الحديث ضعيف...».

أقول:

قد عرفت أنّ «اللفظ المتّفق عليه بين الأئمّة» هو الحديث الخالي عن «واسم أبيه اسم أبي» وأنّ هذا اللفظ ما رواه إلّا أبو داود في أحد

أسانيده، وفيه «زائدة» وقد نصّ على أنّ هذه الزيادة من رواية هذا الرجل فحسب وما وافقه عليها أحد.

لكنّ ابن تيميّة يحاول أن يوهم أنّ الزيادة هي المتّفق عليه، وأنّ اللفظ الخالي عنها من صنع الإماميّة وتحريفٌ للحديث!! بل يريد في هذا الكلام أن يوهم أنّ اللفظ مع الزيادة مروي عن أمّ سلمة كذلك.

ثمّ انّ ابن تيميّة تعرّض لبعض ما قيل في الجواب عن الزّيادة، إذ حملوها على وجوه لغرض الجمع بينها وبين اللفظ المتّفق عليه، فأورد كلام العلّامة ابن طلحة الشافعي، وجعل يشنّع عليه ويرميه بالتحريف... وهذا عين عبارته:

«إنّ الإثنى عشرية الذين ادّعوا أنّ هذا هو مهديّهم، مهديّهم اسمه محمّد ابن الحسن، والمهدي المنعوت الذي وصفه النبي صلّى الله عليه وسلّم محمّد بن عبد الله، ولهذا حذفت طائفة ذكر الأب من لفظ الرسول حتى لا يناقض ما كذبت.

وطائفة حرّفته فقالت: جدّه الحسين وكنيته أبو عبد الله، فمعناه: محمّد بن أبي عبد الله، وجعلت الكنية اسماً، وممّن سلك هذا ابن طلحة في كتابه الذي سمّاه (غاية السئول في مناقب الرسول). ومن له أدنى نظر يعرف أن هذا تحريف صريح كذب على رسول الله صلّى الله عليه

وسلّم، فهل يفهم أحد من قوله: يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي إلّا أنّ اسم أبيه عبدالله؟ وهل يدل هذا اللفظ على أنّ جدّه كنيته أبو عبدالله؟... وأيضاً: فانّ المهدي المنعوت من ولد الحسن بن علي لامن ولد الحسين، كما تقدّم لفظ حديث علي»(١).

أقول:

ان المنعوت الذي وصفه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم هو «محمّد بن الحسن» فإنّه مفاد الحديث الصحيح المتّفق عليه الذي لاكلام فيه، وأمّا الذي فيه ذكر الأب فليس من لفظ الرّسول حتى يناقض ما ذهب إليه الإثنا عشريّة، وإنّما هو رواية واحد من الرّواة وقد خالفه غيره فيه... ولكنّ العلماء ـ كما ذكرنا من قبل ـ أرادوا الجمع بينه وبين اللفظ الصحيح المتّفق عليه فحملوه على بعض الوجوه، وهي سواء صحّت أو لم تصح محامل ولا يجوّز التعبير عن تلك الوجوه بـ«التحريف» إلّا جاهل غبيّ أو متعصّب عنيد.

وقد كان من تلك الوجوه ما ذكره العلّامة الشيخ كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي المتوفى سنة (٦٥٢) في كتاب (مطالب

---

(١) منهاج السنة ٨ / ٢٥٤ ـ ٢٥٨، الطبعة الجديدة.

السئول في مناقب آل الرسول)[١] فإنّه قال بعد ذكر الإشكال:

«فالجواب: لابدّ قبل الشروع في تفصيل الجواب من بيان أمرين يبتني عليهما الغرض:

الأوّل: انّه سايغ شائع في لسان العرب إطلاق لفظة «الأب» على «الجد الأعلى» وقد نطق القرآن الكريم بذلك فقال ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ وقال تعالى حكاية عن يوسف ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ﴾ ونطق به النبي وحكاه عن جبرئيل في حديث الإسراء أنّه قال: قلت: من هذا؟ قال: أبوك إبراهيم. فعلم أنّ لفظة الأب تطلق على الجد وإن علا، فهذا أحد الأمرين.

والأمر الثاني: إنّ لفظة «الاسم» تطلق على «الكنية» وعلى «الصفة» وقد استعملها الفصحاء ودارت بها ألسنتهم ووردت في الأحاديث، حتى ذكرها الإمامان البخاري ومسلم، كلّ واحد منهما يرفع ذلك بسنده إلى سهل بن سعد الساعدي أنّه قال عن علي: والله إن رسول الله سمّاه بأبي تراب ولم يكن له اسم أحبّ إليه منه. فأطلق لفظة الاسم على الكنية.

---

(١) هكذا اسمه لا ما ذكره ابن تيميّة، وهو مطبوع. وقد ترجم لابن طلحة وأثنى عليه كبار العلماء، وعدّ من فقهاء الشافعيّة المشاهير، توجد ترجمته في: العبر ٥ / ٢١٣ والنجوم الزاهرة ٧ / ٣٣ وطبقات الشافعية للسبكي وابن قاضي شهبة وغيرها.

ومثل ذلك قال الشاعر:

أجلّ قدرك أن تسمّى مؤنته ومن كنّاك قد سمّاك للعرب

ويروى: ومن يصفك.

فأطلق التسمية على الكناية، وهذا شائع ذائع في كلام العرب.

فإذا وضح ما ذكرناه من الأمرين فاعلم أيّدك الله بتوفيقه: إنّ النبي كان له سبطان: أبو محمّد الحسن وأبو عبد الله الحسين، ولمّا كان الخلف الصالح الحجة من ولد أبي عبد الله الحسين ولم يكن من ولد أبي محمّد الحسن، وكانت كنية الحسين أبا عبد الله، فأطلق النبي على الكنية لفظة الاسم لأجل المقابلة بالاسم في حق أبيه، وأطلق على الجد لفظة الأب. فكأنّه قال: يواطئ اسمه اسمي، فهو محمّد وأنا محمّد وكنية جدّه اسم أبي، إذ هو أبو عبد الله وأبي عبد الله. لتكون تلك الألفاظ المختصرة جامعةً لتعريف صفاته وإعلاماً أنّه من ولد أبي عبد الله الحسين بطريق جامع موجز.

وحينئذٍ تنتظم الصفات وتوجد بأسرها مجتمعة للحجة الخلف الصالح محمّد.

وهذا بيان شاف كاف لإزالة ذلك الإشكال، فافهمه».

أقول:

هذا ما ذكره ابن طلحة الفقيه المحدّث الشافعي في معنى اللّفظ الذي شذّ به «زائدة» كي يخرجه عن الطّرح، وهذا لا يسمّى بـ«التحريف» كما قال ابن تيميّة، مع أنّه ـ أعني ابن تيميّة ـ قد حرّف الكلام ولم ينقله بكامله.

فإن قُبل ما ذكره هذا الشيخ أو غيره، فهو، وإلّا سقط حديث «زائدة».

وقوله: وأيضاً فإنّ المهدي المنعوت من ولد الحسن بن علي لا من ولد الحسين، كما تقدّم في لفظ حديث علي.

فيه: إنّه قد تقدّم الكلام على الحديث الذي روي عن علي، فلا نعيد.

قال العلّامة الحلي:

«فهؤلاء الأئمّة الفضلاء المعصومون الذين بلغوا الغاية في الكمال، ولم يتّخذوا ما اتّخذ غيرهم من الأئمّة المشتغلين بالملك وأنواع المعاصي والملاهي وشرب الخمور والفجور، حتى فعلوا بأقاربهم ما هو المتواتر بين النّاس.

قالت الإماميّة: فالله يحكم بيننا وبين هؤلاء وهو خير الحاكمين.

وما أحسن قول بعض الناس شعراً:

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً

وتعلم أنّ الناس في نقل أخبارِ

فدع عنك قول الشافعي ومالكٍ

وأحمد والمرويّ عن كعب أحبارِ

ووال أُناساً قولهم وحديثهم

روى جدّنا عن جبرئيل عن الباري»

المحتويات